

## المحور الثاني

### المسرح والدراما والعلاج

منذ أن عرف الإنسان فن المسرح/ الدراما، ومارسه كجزء من احتفالية دينية، كما حدث في الأشكال المسرحية عند الإغريق والمصريين القدماء وشعوب الشرق الأقصى، لم يلبث أن تجاوز دوره الجانب العقائدي من الاحتفال، وتعداه لتحقيق العديد من الأدوار، التي عرفنا منها، التعليمي، والترفيهي، والعلاجي، كل ذلك في إطار ترفيهي، أو إطار من المتعة الجمالية.

يقصد بالدور العلاجي - وهو ما يهم هنا - قدرة فعل العرض المشاهدة الذي يتميز به فن العرض المسرحي، على مساعدة المشاهد والمؤدي في ذات الوقت على استكشاف العالم من حوله وتعديل سلوكه تبعاً لإدراكه للعالم بهذه النظرة الرحبة، سعياً لامتلاك ما يعرف بالسواء النفسي أو العقلي، من خلال ما أشار إليه أرسطو بمفهوم التطهير catharsis، والذي ربط بينه وبين رد الفعل الانفعالي والحسي الذي يتولد لدى المشاهد جراء اندماجه في أحداث العرض، وتوحيده مع بطل العرض «ويكون نتيجة هذا ردود أفعال تتباين ما بين الغضب والبكاء أو الضحك، الأمر الذي يؤدي به في النهاية إلى الشعور بالرضا، وإزاحة التوتر، والإحساس بالشفاء من كل انفعالات الخوف والمضايقة التي تؤثر أيضاً على حياته الذاتية» (١ - ٢٦٣).

أو في تفسير معاصر «يعتبر التطهير العملية التي تسعى لمساعدة الفرد على تصحيح بعض الأنظمة النفسية لديه، من أجل تحقيق التعامل الجيد في الحياة، كما تعمل على تغيير أو إبدال رؤية العالم غير المؤثرة إلى رؤية أكثر تأثيراً، كما أنها العملية التي يتعلم بها المريض طبيعة الواقع الإنساني، من خلال تدعيم العلاقة بين مستويات شخصيته ووظائفها المتنوعة» (٢ - ١٨٣).

لكن ماذا بعد تطهير أرسطو؟ هل استمر للمسرح نفس تقنياته ونفس الدور التطهيري/ العلاجي؟ أم حدث تطور في التقنيات واكتشاف العديد من الأدوار والقدرات العلاجية؟ هذا من جهة.

من جهة أخرى، نعرف جميعاً أن المسرح الإغريقي قد أبدعه مجتمع إلى حد ما متسق عقائدياً وسياسياً. ويركز على الإنسان محور المجتمع وعلاقاته بالنسق العقائدي، وبالتالي كان ما يعرض على جمهور المشاهدين يهتم بعلاقة الإنسان والآلهة، وما يمكن أن يحدث للإنسان في ضوء التعاليم العقائدية، والآراء الفلسفية التي قد تكون مع أو ضد، وهذا كان محور ما يعرض على جمهور المشاهدين، الذين يتعاطفون مع الأبطال، ويتوحدون بهم، ويكتشفون عوالمهم الخفية وأسباب ما وصلوا إليه من مصائر تراجيدية أو مأساوية، وبالتالي تتحرر أرواحهم من الخوف والقلق، وتطهر نفوسهم من الرغبات الشريرة التي قد تسبب لهم القلق، لذلك كان المسرح يجسد كلا من القيم الاجتماعية والثقافية، التي يؤمن بها الإنسان، ويثير أغوار الروح الإنسانية، لكشف أطراف صراعها في إطار من القيم والمعتقدات السائدة، والتي تؤثر في حياة

الجماهير، بمعنى أنه كان ينقل الحياة من العالم الخارجى إلى العمليات الوجدانية والروحانية فى العالم الداخلى، وبالتالى يحدث التطهير. أما اليوم فى ظل تغير المجتمعات وتعدد المذاهب والأفكار والأيدولوجيات، وفقدان الجماعات للاتساق الداخلى سواء فى الأنساق القيمية أو الطبقيه، وارتفاع وسقوط الأفكار والأيدولوجيات والسياسات والدول، وافتقار الجماعة الواحدة للوحدة الثقافية، كل هذا اكسب الكثيرين ميراثا صعبا من اليأس والسخرية واللامبالاة «الأمر الذى خلق تناقضا بين مطالب الحياة ذات المستوى المرتفع، والديمقراطية، والحرية والإباحية من جهة، والخوف مما يمكن أن يجلبه التقدم من جهة أخرى» (٢ - ١٨٤)، مما أدى إلى اضطراب الحياة النفسية للكثيرين، وعدم قدرة المسرح فى كثير من الأحيان عن التعبير عن كل أو بعض من هذه القضايا، الأمر الذى نتج عنه ما قال عنه بيتر بروك ١٩٦٨م «المسرح الميت» dead theatre، وهو المسرح الفارغ من الحياة، الذى يفشل فى إسقاط أو عرض الرغبات الدقيقة والغامضة داخل الإنسان (٢ - ١٨١).

لكن مع التطور العلمى والحضارى فى مجال الدراسات الإنسانية. وظهور علم النفس مع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات العشرين، بدأ كثير من علماء النفس فى البحث عن تقنيات تشخيصيه وعلاجية جديدة، تساعد على معرفة أسباب الصراع النفسى المبني على أسس اجتماعية ونفسية واكتشافها، ومحاولة مساعدة المريض من خلال المكاشفة بعناصر الصراع وأسبابه.

واكب هذا تطور آخر في مجال المسرح وتقنياته ، خاصة فنيات الكتابة التي بدأت تهتم بالإنسان من عامة الناس أو من الطبقات الكادحة في محاولة لتشخيص أزماته السياسية والاجتماعية ، والقهر الطبقي والاستغلال الذى يتعرض له ، مسببا الكثير من الضغوط النفسية . التي تتجسد في الكثير من الأعراض والسلوك المرضى الضار بالإنسان والمجتمع ، كما في المسرح الطبيعى والواقعى والملحمى واللامعقول ، وغيرها من المدارس المسرحية المعاصرة .

كان من الضروري أن يلتقى العلم مع الفن في توظيف تقنيات المسرح والدراما كأساليب علاجية نفسية ، بدأت بظهور السيكدوراما ، وانبثق عنها السوسيودراما ، ثم العلاج بالدراما ، ومسرح التذكر أو المشاركة ، ودراما الأقران ، وغيرها من التقنيات التي استعانت بالارتجال ولعب الأدوار والمحاكاة كأساليب مسرحية ، في العلاج النفسى لكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية الناشئة عن معاشة الإنسان لمشكلات العصر . فكيف كان ذلك ، وما هي أهم التقنيات الفنية والنفسية المستخدمة في كل منها؟

وهذا ما سنحاول إلقاء بعض الضوء عليه في هذه الدراسة .

## القدرات العلاجية للدراما والمسرح

كثيرا ما نتكلم عن المسرح والدراما أو ننظر إليهما بوصفهما مصدرين للمتعة والمعرفة ونادرا ما يلفت نظرنا تلك القدرات العلاجية لهما خاصة في مجالى الاضطرابات النفسية والاجتماعية .

إن قدرة الدراما والمسرح العلاجية ليست بدعة، بل هي موجودة منذ أن عرف الناس الممارسات الدرامية: عرفها الإنسان في الطقوس العقائدية البدائية، وعندما عرف الناس المسرح، أشار إليها الشاعر والفيلسوف والناقد (أرسطو) القرن الثالث قبل الميلاد: عندما قرر: «أن هدف التراجيديا هو إحداث التطهير النفسى والانفعالى لدى المشاهدين». كما ظهرت أيضا عند كلام البعض من علماء النفس حول مفهوم «التوحد»: أو «لعب الأدوار». و«المجاز الدرامى»، و«الفراغ المسرحى»، وجميعها مفاهيم ترتبط بالعملية التشخيصية، وتؤسس عليها الآن فى مجالات العلاج النفسى والاجتماعى كثير من المناهج العلاجية بداية من السيكدوراما مروراً بالسوسيودراما، والعلاج باللعب، والسيكدوراما التحليلية: ونهاية بالعلاج الدرامى.

أما التطهير Catharsis والذى ظهر عند أرسطو عندما ربط بينه وبين الإحساس بالشفقة على بطل التراجيديا اليونانية الذى يتعرض لمصير مؤلم والخوف من أن يتعرض المشاهد لهذا المصير، وتتحول حياتنا من السعادة إلى الشقاء تماما كالبطل فى المأسى الإغريقية، لذلك لابد من تطهير النفس من الشرور والآثام. والسلوك المشين.

إن كان التطهير بهذا المفهوم الأخلاقى قد خص به أرسطو المشاهد، فإن مورينو مؤسس السيكدوراما قد نقله إلى الممثل المؤدى محور الاهتمام فى جلسات السيكدوراما فقد قال مورينو «إن السيكدوراما تنتج تأثيرا علاجيا يؤدى إلى الشفاء، للممثل المؤدى فى جلسات العلاج بالسيكدوراما، تماما كما يحدث لدى المتصوفين والرهبان عند ممارستهم الطقوس العقائدية».

## لعب الأدوار: Role Play

لقد استخدم مفهوم الدور أول ما استخدم في المسرح ليدل على ذلك الجزء من النص المسرحي الذي يكتب لشخصية ما، وانتقل إلى العلوم الإنسانية ليشمل كل الأدوار الحياتية التي يؤديها الإنسان في لحظات حياته المختلفة.

أما في السيكودراما فقد قسم مورينو الأدوار إلى:

١ - الأدوار السيكوسوماتية: هي الأدوار التي يعمل بها الفرد على المستوى الفيزيقي والعضوي.

٢ - الأدوار الاجتماعية: وهي التي يعمل بها الفرد في علاقاته بالآخرين.

٣ - الأدوار السيكودرامية: وهي التي توجد كصور وخيالات داخلية للنفس في علاقتها بالآخرين، التي تحدد تفاعلاتنا الحقيقية.

وواحد من أهداف العلاج بالدراما (السيكودراما) هنا أو العلاج بالدراما بشكل عام هو اكتشاف تلك الأفكار والصور الكامنة في ذلك الجانب المظلم من النفس والذي يتحكم في السلوك غير السوي، ومن خلال المشاركة التلقائية تتداعى الأدوار، ويمكن أن نتعرف إلى عدد من الأدوار غير المألوفة ودوافعها والتي يتم تجسيدها داخل الفراغ المسرحي.

## التوحد بالنموذج Identification

التوحد أو التقمص هو واحد من أساليب العلاج بالدراما التي تعتمد على الاندماج التام في الشخصية التي يؤديها بالدرجة التي تسمح له

بأن يتأملها ويستغرق فيها، ويتعاطف معها، ثم يتوحد بها، ويتمثل أفكارها وسلوكياتها كنموذج إيجابي من وجهة نظره.

### الفراغ المسرحي: Theater - Space

الفراغ المسرحي أو خشبة المسرح، هي ساحة الأداء التي يتم إعدادها بشكل رمزي لإعادة تمثيل الواقع، فيما يعرف بالواقع الدرامي والذي يجنى مستقلا عن واقع الحياة. وهذا الواقع الدرامي هو الذي يندمج معه - ويتفاعل - المريض بخياله ويرتبط عاطفيا مع شخصياته، التي يجد فيها ما يشبه واقعه الشخصي، الأمر الذي يؤدي إلى كشف الكثير من الجوانب النفسية المسببة للقلق والاضطراب لديه.

وفي جلسات السيكودراما والعلاج الدرامي تأتي هذه المساحات قريبة من خشبة المسرح. وحتى تجعل المرضى مستعدين لتقبل الإيهام بما يقدم إليهم على أنه واقع حقيقي خاص بهم

ويتعاملوا معه. وحتى نصل إلى تحقيق هذا لا بد من أن تعتمد الجلسات التمهيدية «التي تحقق ما يعرف بالإرجاء المؤقت للشك» بنقل المشاركين في الجلسات من واقعهم إلى هذا الواقع الدرامي، فنحرهم من المقاومة أو الخوف من التجربة، من أجل أن يتقبلوا أن الواقع العلاجي المتوهم هو واقع يتعامل معه المريض، باستخدام الذاكرة، والخيال. والأفكار وتجسيدها بطريقة آمنة، بحيث من خلال خصوصية هذا الواقع من جهة، وسياق التوهم والتمثيل بحرية وتلقائية من جهة أخرى بمزيد من التعبير والتفسير.

وهذه المساحة أو الفراغ يماثل ما يعرف بالفراغ الانتقالي لدى الطفل والذي يقع ما بين الواقع الداخلي والخارجي للطفل، والذي يظهر في

إسقاطه على موضوع انتقالى خلال لعبه الإيهامى ، كالدنى ، والعصا ،  
والتي توجد بالنسبة للطفل على مستوى واقعى إلى حد ما ، ما بين «أنا»  
ولست «أنا» ليضع حدا ما بين الذاتية والموضوعية ، فالشىء يوجد فى  
العالم الخارجى بشكله العيانى . لكنه يتحول إلى موضوع مبدع داخليا  
لدى الطفل ، مكتسبا دلالات ورموز خاصة بعالم الطفل الداخلى .  
وينفس الأسلوب يعمل الفراغ الأدائى أو المسرحى فى العلاج  
بالدراما والسيكودراما «كفراغ انتقالى أو جسر بين العالمين الداخلى  
والخارجى للمريض» .

### ما العلاج بالدراما؟

فى محاولة لفهم المقصود من العلاج بالدراما Drama Therapy  
سنحاول التعرف إلى معنى المصطلح أولا . من القراءة الأولى للمصطلح نجد  
أنه يتكون من شقين يشيران إلى عمليتين كبيرتين هما الدراما Drama  
والعلاج Therapy . لذا لابد من أن نعرف أولاً ما المقصود بالدراما فى  
مجال العلاج لنعرف منها ما المقصود بالجانب العلاجى الذى نوظف  
الدراما لتحقيق أهدافه .

### ما الدراما؟

تبعاً للترجمة المختصرة لقاموس أكسفورد يمكن أن نعرف الدراما  
«بأنها تعبير قولى قد يكون شعرا أو نثرا ، يعد ليؤدى على المسرح ، ويرتبط  
خلاله الموضوع بعدد من الوسائل المرتبطة بفن المسرح كالحوار والفعل  
المصحوب بالحركة والملابس كما هى فى واقع الحياة أو قريبة منها» .

لكن بالنظرة الأشمل لمفهوم الدراما قد نجد أن ممارسة الدراما من جهة أخرى قد لا تحتاج إلى مسرح وملابس ومعدات أو مناظر، بل كل ما تحتاجه هو فرد أو مجموعة من الأفراد يستخدمون قدراتهم الذاتية - من حركة الجسد - والتفكير والقدرات العقلية، ليجسدوا من خلال الفعل والحوار، القصة أو الموضوع الذي يحاولون التعبير عنه، وهم من نعرفهم بالمؤدين أو الممثلين.

والدراما كما اكتشفها الإغريق ونظروا لها تعنى موقف أو موضوع - يدور حول إنسان - يؤدى ويعاش، ويتحدث فيه الإنسان عن قصة حياته أو دراما حياته، وتدور في سياق اجتماعي يحدد علاقات الإنسان مع الآخرين حيث إن الموقف الدرامي هو بالضرورة فعل اجتماعي يعبر عن التفاعل والتواصل والتعارض أحيانا بين الأطراف المشاركة في هذا الموقف. من خلال الأداء أو المحاكاة لمواقف وشخصيات أو أدار من واقع الحياة، يعبر عنها في الموقف الدرامي تماما كلعب الأطفال الذي يعتمد على المحاكاة والتقليد لما يتم في واقع الحياة، فالطفل الذي يتناول دورقا فارغا ويحاكى أنه يشرب منه. هو تقليد ومحاكاة متوهمة لفعل في الحياة، وعندما يلعب الطفل مع دميته ويحاكى الأم وهي تصرخ فيه وتنهره عندما يبكى، هنا يحاكى دور الأم كما يراه من وجهة نظره، ويعبر عنه أثناء لعبه مع دميته. الطفل هنا في محاكاته لدور الأم يحاول أن يعبر عما لاحظته من انفعالات الأم واستجاباتها لصراخه أو بكائه، ويقوم بأدائه من خلال لعبه لدور الأم.

وهكذا الدراما تعتمد على لعب الأدوار ومدى ملاحظة الإنسان للاستجابات الانفعالية للآخرين، ومحاولة محاكاتهم من خلال مدى

معرفة ما يشعرون به وكيف يستجيبون لموقف ما. وبذلك يكون الفعل الدرامى نتيجة مباشرة للرغبة فى التعبير عن المعرفة وكيفية الإحساس بما يشعر به الآخرون، ومحاولة تقليدهم. وكأن الشخص (المؤدى) يعيش فى ثياب شخص آخر، حيث إن الدراما هنا فى انفصال للذات (المؤدى) عن ذاته إلى ما هو غير ذاتى (الدور الذى يلعبه). فى مكان وزمان معينين. فليس بالضرورة أن تكون المحاكاة مرتبطة أيضا بالزمن والمكان الواقعى. ذلك أن لعب الأدوار يعتمد على تحويل الواقع إلى واقع درامى خاص به دون الارتباط بالواقع الأسمى للخبرة التى تحاكى. فالطفل الذى يلعب مع دميته ويعطيها الشراب من زجاجة بلاستيكية فإنه يحاكى واقع. لكنه نقله إلى مكان وزمان آخرين لا وجود لهما إلا فى مخيلته. فقد يتم ذلك فى المساء بينما ميعاد الرضاعة الأسمى فى الصباح، وقد يقلد الطفل وهو يلعب فى الحديقة تصرفا ما تقوم به الأم فى المطبخ مثلا. إذا فالفعل الدرامى يتضمن زمانين ومكانين، زمن ومكان واقعى وزمن ومكان متخيل وما بين الاثنين يعرف بالمسافة الدرامية وهى المسافة التى تسمح للشخص، سواء أكان ممثلا أو مشاهدا بالتحرك للخلف وللأمام بين مستويين. مستوى موضوعى (واقعى) ومستوى ذاتى (متخيل).

هذه المسافة تظهر بوضوح فى المسرح، فالعرض المسرحى هو خبرة مباشرة تتم فى زمان ومكان متخيلتين، يؤدى فيهما الممثلون أدوار لشخصيات أخرى كانت تعيش أو تعيش الآن فى أماكن أخرى وأوقات أخرى، ونحن كمشاهدين لعرض مسرحى نجلس أمام الممثلين وما تزال

تلك المسافة أو العزلة بيننا وبينهم قائمة، لكن بمجرد أن تتوحد مع الشخصيات التي يمثلونها فإننا يمكن أن نتقبل أى شئ، حتى انتسابنا كبشر إلى تلك المخلوقات الخرافية، إننا من خلال هذا التوحد نوع من مجالات وجودنا، أما بالنسبة للممثلين فإنهم لا يصلون إلى هذا التوحد بمعنى أنهم لا يتحولون أو يصيرون تلك الشخصيات التي يمثلونها، لكنهم بقدراتهم وخبراتهم يستطيعون أن يفسروها ويجسدوها من خلال أبعاد الأدوار الموجودة فى النص أو الموقف الدرامى. بمعنى آخر أن الممثلين فى المسرح ومن خلال المسافة الجمالية أو الدرامية يملأون بخبرة الانتقال ما بين الواقع الموضوعى والواقع الذاتى.

نخلص من هذا إلى أن الموقف الدرامى هو عبارة عن مواجهة اجتماعية تتم فى مكان معين ووقت معين، ويتحرك خلالها الممثل والمشاهد ما بين وقت واقعى إلى وقت متخيل ومن واقع موجود إلى واقع درامى.

### ما العلاج؟ Therapy

تشققت لفظة Therapy (علاج) من اللفظة الإغريقية Healing التي تعنى مداواة، لذا فإن Psycho Therapy تعنى مداواة النفس، وتكون Drama Therapy إذا هى المداواة بواسطة الدراما أو العلاج بالدراما. ولا يقصد بالطبع بالعلاج بالدراما استخدام أساليب الدراما فى العلاج النفسى ذلك أن القصد ليس بهذه البساطة، حيث إن العلاج بالدراما هو نظام فى ذاته وبمن يقومون به وبأبحاثه.

ويقضل أن نبدأ باستقراء بعض تعريفات العلاج النفسى Psycho Therapy حتى يمكن أن نرى كيف ترتبط بالدراما؟

العلاج النفسى هو عملية «تهدف إلى مساعدة المريض على أن يفعل بنفسه ما لا يستطيع أن يفعله، والمعالج لا يقوم له بهذا الفعل»؛ لكنه أى المريض لا يستطيع أن يفعله بدون المعالج، والمعالج هنا هو وسيط أو ميسر Facilitator يساعد المريض على الفعل؟

هناك تعريف آخر يقول «إن التوظيف المنظم للعلاقة بين المريض/المعالج تعمل مثلما يفعل - الدواء أو أساليب العلاج الاجتماعى - فى إحداث تغيير فى المعرفة والمشاعر والسلوك» وبذلك تكون هذه العلاقة القائمة بين المريض/المعالج بمثابة وسيط علاجى بذاتها.

ومن المعروف أن الهدف الأساسى للعلاج النفسى هو إزالة الشعور بالمعاناة، ويتم هذا داخل النفس سواء كان المريض فردا أو جماعة، لذلك فإن بدايات العلاقة بين المريض/المعالج تعمل على إزالة القلق والتوتر والضغوط العقلية، وما أن يتم ذلك حتى يتحول الهدف من الرغبة فى إزاحة التوتر وإزاحة القلق أو الاكتئاب، إلى الرغبة فى تعلم التواصل مع الآخرين. حتى يكتسب المريض الثقة فى نفسه وفى الآخرين، وبذلك يتعلم الحب.

والعلاج النفسى لا يكون دوما تطهيرا انفعاليا، بل هو خبرة تجمع ما بين الانفعال والمعرفة. فالمريض عندما يمر بهذه الخبرة يشعر بأن هناك شيئا ما، ويحاول أن يفهم ما تتضمنه هذه الخبرة من معان وما يرتبط بها من انفعالات. وهذه العملية يكون لها ارتباط وثيق ومباشر بالخبرة الوجودية للمريض فى هذه اللحظة وهذا الموقف.

وكما أثبتت Yalom 1985 بالدراسات «والأبحاث أن ما يميز الخبرة العلاجية النفسية الناجحة هو ما تتضمنه من معرفة تشكل محور ارتكاز

العلاجية العلاجية» وبذلك يكون الاستبصار والفهم من أهم متطلبات العلاج النفسي.

من هذا يمكن القول بأن العلاج يهتم، بالانفعالات القوية، الاستبصار، الإدراك العقلي، والتغير. ومركز العلاج هو العلاقة مع المعالج أو العلاقة ما بين المعالج والجماعة. والتي تساعد الفرد على أن يحقق ما لم يكن قادراً على تحقيقه لنفسه بمفرده. إنها تساعد على أن يختبر الحياة كما هي الآن.

### العلاج الدرامي Drama therapy

والعلاج الدرامي هو أسلوب فني علاجي يعتمد على تقنيات فن المسرح، ويمكن تطبيقه داخل المؤسسات العلاجية، والمدرسية، والاجتماعية، مع كل الأفراد أو الجماعات.

ويقترض العلاج الدرامي أن الإنسان «درامي» في تطوره ونموه، ويمكن منذ الشهور الثلاثة الأولى من حياة الفرد ملاحظة العديد من الأنشطة الدرامية أو الإيمامية.

ويتضمن أسلوب العلاج الدرامي: الحركة، التقليد، الأصوات، المسرحيات، الألعاب الدرامية، لعب الأدوار، النصوص المكتوبة، استخدام الأقنعة، رواية القصص والأساطير.

وإن كان العلاج الدرامي يعتمد أساساً على نظرية المسرح ومفاهيم المسرحية والدور إلا أنه يستمد معلوماته من علم نفس النمو، ونظرية النموذج Archetype، والعلاقة بالموضوع، وديناميات العمليات النفسية بين الجماعات.

ونظريا يعتمد العلاج الدرامي فى ممارسته على عدد من النظريات  
التي تربط بينه العديد من المجالات العلمية الأخرى.

### العلاج النفسى والدراما:

يرتبط العلاج النفسى بجذور تاريخية قديمة تتوغل فى تاريخ الحياة  
الإنسانية لتلك المراحل التي كانت تستخدم فيها الطقوس الدرامية كوسيلة  
علاجية فى العديد من المجتمعات والعلاقة بين الدراما والعلاج النفسى  
للمجتمع وللأفراد أشار إليها أرسطو فى كتاباته المتقدمة حول التطهير.  
من ناحية أخرى كان المسرحيون قد بدءوا فى استخدام المسرح فى  
طرح بعض القضايا ذات الأبعاد النفسية والانفعالية العنيفة، مثلما كان  
يفعل بيتر بروك Peter Brook حيث كان يجرب فى مسرحه شكلا  
جديدا قال عنه المسرحى آرتو «مسرح القسوة أو العنف» «Theatre of  
Cruelty» والتي ظهرت ملامحه فى مسرحية «ماراصاد» والتي أثرت  
كثيرا على المسرح البريطانى.

وفى بولندا كان المسرحى الكبير جيرزى جروتوفسكى Jerzy  
Grotowski يقوم بتجاربه فى ورشته المسرحية والتي كان يدرّب  
فيها ممثليه بشكل جديد، يعتمد على إعادة التفكير فى النفس وكيفية  
تعاملها مع الأدوار الإنسانية فى الواقع، عموما كان منهجه يعتبر شكلا  
من التمثيل العلاجى للممثل والمشاهد معا.

أما فى مجال التعليم فقد نادت دورثى هيسكوت Dorothy Heathcote  
بضرورة مشاركة الطفل فى العملية التعليمية عامة، وفى المجال المعرفى  
خاصة، حيث كان التعليم يعتمد على ربط الطفل بمصادر المعرفة التي

يحددها المعلم من جهته فقط، أما دورثى فكانت تؤمن بأن التعليم هو التدخل الجيد في حياة الطفل، ولا بد من كسر هذه المسافة والتقاء المعلم مع الطفل، وقد وظفت الأنشطة الدرامية في ذلك وشاركت بنفسها في لعب الأدوار. حيث إن المشاركة في لعب الأدوار تساعد على تقوية اندماج الأطفال في الخبرة، كما تساعد على أن يكون الطفل موضوعيا، كما يمكن قياس الانعكاس الناتج عن هذا الاندماج أو المشاركة حيث إن الخبرة بدون الانعكاس لا تؤدي إلى التعلم الجيد، فالانعكاس هو بمثابة مردود للعملية التعليمية.

يقول أونيل ١٩٨٢م «إن أكثر الدلالات التي يمكن أن نجدها من الأنشطة الدرامية هو فهم الطفل للسلوك الإنساني، ولذاته، وللعالم الذي يعيش فيه، وهذا النمو للفهم المغاير للأساليب المعتادة يساعد على تغير وتطور أساليب التفكير، والانفعال، وهذه أولى أهداف الدراما في التعليم». هذه الاتجاهات التي ظهرت في بريطانيا وأوروبا منذ الستينيات سواء في مجال المسرح أو الدراما أو التعليم أو العلاج النفسي، أثرت بشكل كبير على Sue Jenning التي كونت أول جماعة للعلاج بالدراما Remidal Drama والتي اعتمدت على تلك الأساليب المتطورة في مجال استخدام الدراما في التعليم، لتطبيقها في بعض المجالات الإكلينيكية، وأصبح مركز العلاج بالدراما هذا أول مركز متخصص في تدريب وممارسة الدراما الإبداعية والتعبيرية مع الكبار والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وفي عام ١٩٧٠م أطلق على المركز اسم مركز العلاج بالدراما (Drama Therapy Centre).

وفي عام ١٩٧٢م؛ اتسع نشاطه ليكون مركزا استشاريا يقوم بالتدريب والعمل مع الجماعات من الكبار والأطفال، ومنذ عام ١٩٧٧م بدأ العالم يعرف العلاج بالدراما Drama Therapy كواحد من الأساليب العلاجية في عالم العلاج بالفنون بجانب السيكدراما.

وسوف نحاول التعرف إلى تقنيات توظيف الدراما في العلاج النفسي وتعديل السلوك، والتي حظيت بثقة علماء علم النفس الإكلينيكي وعلم النفس العلاجي في العالم.



## أولاً: السيكودراما Psychodrama

### وريادة المسرح فى العلاج النفسى

السيكودراما واحد من أساليب العلاج النفسى الجماعى التى أسسها عالم النفس النمساوى «مورينو» Moreno، كتقنية علاجية فى العشرينيات من القرن الماضى، فى الوقت الذى بدأت فيه أوروبا تستيقظ من الخراب الذى أحدثته الحرب العالمية الأولى، وبداية ظهور الفاشية، كامتداد للتحليل النفسى الذى ابتدعه فرويد، لكن إن كان التحليل النفسى يعتمد على علاج حالات فردية، فإن السيكودراما أسلوب جماعى يعتمد على وجود الفرد داخل الجماعة، وتعمل هذه الجماعة على تهيئة الفرصة له للتعبير التلقائى عن مشاكله النفسية ويتخذ هذا التعبير هنا أشكالاً ذات طبيعة درامية متعددة فى التعبير اللفظى والأدائى بالحركة والفعل ويعرف البعض السيكودراما بأنها «واحد من أساليب العلاج الجماعى تعتمد على الأداء الدرامى فى مواقف مسرحية تدور حول بعض المشكلات النفسية، ومن خلال التعبير الحر التلقائى لأفراد الجماعة، كل حسب الدور التى ارتضاه من أدوار الموقف، يتم التنفيس الانفعالى والاستبصار الذاتى بالمشكلات التى يدور حولها الموقف المسرحى والذى غالباً ما يؤسس على خبرات ترتبط بالأفراد المرضى المشاركين فى الأداء وتأليف الموقف».

وتعتمد جلسات السيكودراما العلاجية على العناصر الأساسية من المشاركين وهم البطل Protagonist، الموضوع Subject، المخرج أحدث العالم المعاصر لهم من مخاطر.

كما حاول مورينو أيضا الاعتماد على الأداء فى المسرح/ الدراما كأسلوب يساعد على تحرر الفرد من المقاومة، ويعتمد على لعب الأدوار، فقد رأى مورينو أن الدراما «هى النتاج الطبيعى للعب المحاكاة لدى الأطفال، مثلها مثل الشعائر العقائدية والاجتماعية، وأنه منذ التراجيديا الإغريقية إلى كوميديا شكسبير والدراما تلعب دورا مهما فى تاريخ كل الثقافات بطريقة أو أخرى، باعتبارها وسيلة يمكن من خلالها التعبير عن كثير من جوانب الذات الإنسانية، سواء بشكل فردى أو خلال الأداء داخل مجموعات، ومن خلال الدراما نكون قادرين على اكتشاف العديد من القضايا، والتعبير عن مشكلاتنا، ونمر بخبرة المرح، كما نعبر عن حياتنا، ونواجه الجوانب المختلفة من ذاتنا. (٣ - ٥).

هنا افترض مورينو: إنه عندما يؤدي الفرد «دورا خاصا، بالمصادفة أو داخل جماعة العلاج التى يشعر بينها بالأمان، فإنه سوف يكشف عن نماذج لاشعورية، وانفعالات غير مريحة: صراعات عميقة، وأفكار ذات معنى لحياته. ومن ثم تظهر هذه النماذج الداخلية على أدائه الخارجى، وبالمناقشة وتطبيق تقنيات السيكودراما، يمكن للفرد أن يحصل على وعى واستبصار جديدين، يعلمان على زيادة وضوح رؤية البدائل التى تساعده على العلاج».

(٣ - ١)، وبالتالي تكون السيكودراما. تقنية تستخدم لمساعدة الفرد (البطل protagonist) على التعبير عن «صراعاته الداخلية العميقة، عن طريق مشاركة الجماعة فى تمثيل بعض الأحداث الحياتية ذات الدلالة، بشكل تلقائى، عن طريق الأداء الدرامى، وإظهارها لباقي أفراد

الجماعة، وتعمل من خلال تجسيد الشخص للماضي والحاضر والمستقبل في نفس اللحظة» (٣ - ٢). وعن طريق إبداع الأفراد التلقائي، يتم الوصول إلى مجموعة من البدائل لحل المشكلات، يختار البطل منها ما يناسبه. فمن خلال الموقف الذي تؤديه الجماعة يعيد البطل النظر إلى حياته وهى تتحرك أمامه، سواء ما تم فيها أو لم يتم. بمعنى أن الجماعة تقوم بتمثيل جزءا من حياة البطل كما لو كانت بهذا الشكل (as if). وكل هذا بتوجيه المخرج/ المعالج. لكن في الموقف العلاجي هنا يتجاوز المريض العلاقة بالمعالج كما فى التحليل النفسى إلى العلاقة بالمجموعة، مما يكسب العلاج القوة للتغيير والعلاج. وبالتالي تكون السيكودراما قادرة على مساعدة البطل على إعادة تصميم حياته كما يتمنى أن تكون، من خلال ما تم، استبصاره لمشاكله، والتطهير، وإزاحة العقبات التى قد تعيق إدراك الفرد، وقدراته على التعامل مع الغير، من خلال التواصل الشخصى مع الآخرين.

#### توظيف أو مجالات استخدام السيكودراما:

يقول مورينو (Moreno & Moreno ١٩٧٦م) إنه يمكن استخدام السيكودراما تطبيقيا كأسلوب، تشخيصى، أو استكشافى - بحثى - أو تعليمى وعلاجى، الأمر الذى يجعل منها أداة بحثية، ومنهج تعليمى. إضافة إلى كونها وسيط لنضج الشخصية والعلاج النفسى هذا إضافة إلى ما قاله (Bltner ١٩٨٨م) أن السيكودراما تتفرد بين أساليب العلاج النفسى، بقدرتها، على التعامل مع مدى رحب من القضايا، الماضى والحاضر والمستقبل، والتفاعل النفسى بين الأشخاص،

وديناميات الجماعة، في التدعيم والتعليم والتعبير، والاستبصار انفعاليا ومعرفيا، ووجدانيا، سواء على مستوى الواقع أو الخيال، وفي اللعب والسياسة: تستخدم السيكودراما في العيادات، والمراكز الجماعية، والسجون، لعلاج بعض الصعوبات العقلية، والانفعالية والسلوكية، مثل الهلاوس السمعية، وبعض حالات الانفصام، والإساءة الجنسية للأطفال والكبار، وعلاج بعض الاضطرابات الغذائية كالشره المرضى bulimia، وعلاج الإحباط وتعلم الأفراد بعض الأساليب الجديدة للتعامل مع المواقف الحياتية، والمشكلات التي تشكل خلفية للأعراض المرضية والإدمان. كما تم علاج بعض حالات صعوبات التعلم، وصعوبات الانضباط Adjustment difficulties، واضطرابات الشخصية، والقائمة لا تنتهي، وجميعها يعتمد على كون السيكودراما قادرة على تعديل السلوك، نخلص من هذا إلى أن السيكودراما تقنية علاجية جماعية، ولا يمنع الأمر من استخدامها بشكل فردي، وتتم في إطار مؤسسى أو داخل العيادات.

### الجانب الاجتماعي للسيكودراما Socio drama & socio me try

لم تكن السيكودراما هي الإنجاز الوحيد لمورينو، كان لها أقارب ذوو بعد اجتماعي، وهما السوسيدراما socio drama والتي تهتم بالقضايا الاجتماعية للأشخاص، والقياس الاجتماعي socio metric وهو العلم الذى يهتم بقياس العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الجماعات، ومنهما وضع قواعد؛ ومنها توصل مورينو إلى socio therapy علم الشفاء الاجتماعى.

عرف مورينو السوسيودراما، بأنها منهج أدائى عميق يتعامل مع العلاقات الداخلية بين أفراد الجماعة، وأصحاب الفكر الأيديولوجى، وبشكل عام تبدو السوسيودراما شبيهة بالسيكودراما، لكن يتم التركيز بها فى العمل على إحدى القضايا ذات الاهتمام الجماعى، على سبيل المثال عند دراسة حالات العنف داخل المستشفيات، طبق المنهج العلاجى على المرضات، وجسدت المجموعة أدوار المرضى والمرضات والأطباء والأقارب والصحفيين، وكل من له علاقة بهذه القضية، وقد توصلت الدراسة إلى أن السوسيودراما لم تظهر فقط أبعاد المشكلة داخل الموقف، ولكن أو ضحت كيف يمكن القضاء عليها خاصة عندما تحترم حقوق المريض كإنسان. كما قام مورينو ١٩٤٥م فى أمريكا بدراسة العلاقة بين السود والبيض، من منطلق أن السوسيودراما أسلوب يعمل على التعرف إلى مدى تماسك الجماعة واتساقها.

### الأصول الدرامية فى السيكودراما

من أهم العناصر الدرامية التى اعتمد عليها مورينو لبناء فلسفته ونظرياته حول السيكودراما وعائلتها، مفهومى التطهير catharsis، ولعب الأدوار Role playing، وقد وظف مورينو التطهير catharsis كجزء من عملية العلاج لكل من البطل والمشاهد، فعند مورينو وبخلاف أرسطو: يكون التطهير الذى يحدث للبطل، هو محور الاهتمام بصرف النظر عن الخيرات الانفعالية التى قد تتولد لدى المشاهدين، ومن هنا وكما قال Kipper فإن مورينو «وصف نوعين من التطهير، التطهير بالفعل action catharsis والذى يحدث للبطل، وقد اشتقه مورينو

من عقائد الشرق الأقصى، حيث كان القديسون يلجأون إلى التطهير الفيزيقي، ليطهروا ذواتهم وينقذوا أنفسهم، ببذل مزيد من الجهد، والتطهير بالاحتواء Integration catharsis والذي يحدث للمشاهد من خلال ميكانيزم التوحد identification « (١ - ٢٦٣).

جانبا آخر مهم هنا وهو أهمية المشاركة فى إحداث التطهير، فالتطهير لا يتم بين الفرد ونفسه، لكن لابد أن يتم فى سياق اجتماعى يجمع شخصين أو أكثر، فالعلاقات الاجتماعية بما تثيره من تفاعلات ومناقشات، بين الأفراد تدفعهم لاكتشاف الدوافع، سواء إن كان الموقف واقعيا أو متخيلا أو فانتازيا، وجميعها تؤدى إلى التطهير بالاحتواء. والوسيط الأمثل هو الفعل الدرامى.

أما لعب الأدوار فيشكل القاعدة الأساسية فى تقنيات السيكودراما، حيث أولاد مورينو الكثير منة عنايته، خاصة وأنه درس علمى المسرح والاجتماع، وقد حدد مورينو ثلاثة أنواع من الأدوار، الدور الجسمانى Somatic role مثل الرياضى الشره أو محب النوم، وهنا يتحدد الدور من خلال صفات فيزيقية أو جسمانية، ثم الدور السيكولوجى مثل البطل فى السينما، وهى التى تنمو من الخيال والفنتازيا، و أخيرا الدور الاجتماعى. ولما كانت الأدوار يتم تعلمها وتعديلها ومراجعتها أو التخلي عنها وفقدانها أو تأكيدها، لذلك يرى مورينو أنها تفاعلية، وتبعاً لذلك، فإنه كلما زادت الأدوار التى يقوم الفرد بها، كلما زادت قيمة الحياة بالنسبة له، لذلك تعتمد السيكودراما على مفهوم الدور وتهدف إلى إعادة تقييم الأفراد للأدوار التى يؤدونها وتسود حياتهم، من اجل خلق

أدوار جديدة أو للتأكيد على السائد منها؛ فباكتشاف البطل من المشهد المؤدى أبعاد الدور الذى يقوم به، يصبح قادرا على إعادة تقويم دوره الحالى؛ أو عند الضرورة يكتسب دورا جديدا أكثر تأثيرا، لذلك تعتمد السيكودراما على مفهوم الدور وتوزيع الأدوار فى الموقف العلاجى، بين المريض الذى يقوم بدور البطل أو الشخصية الرئيسية protagonist صاحب المشكلة الرئيسية التى يدور حوله الموقف، ثم الألوات المساعدة أو الشخصيات الثانوية AUXILIARY EGOS وهم باقى أفراد المجموعة الذين يساعدون على تطور الفعل واكتشاف البطل لأسباب ودوافع المشكلة، ويتم هذا تحت توجيه المعالج أو المخرج بالمصطلح الدرامى DIRECTOR.

وبالطبع نجد مفاهيم أخرى مثل المسرح STAGE الذى يطلق على مكان الأداء، وهناك أيضا المعدات: التى يمكن استخدامها. و أخيرا تعتمد السيكودراما مثلها مثل لعب الأدوار فى دراما الطفل على التلقائية والارتجال بعيدا عن وجود نص



## ثانياً: العلاج بالدراما Drama Therapy

العلاج بالدراما، واحد من الوسائل المتبعة حديثاً في مجال العلاج النفسي وتعديل السلوك لعلاج الكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وقد ساعد انتشار توظيف الدراما في المؤسسات التعليمية، على اكتشاف القدرة العلاجية للدراما منذ عام ١٩٦٠م، وقد أثر ظهورها في تعدد الدعوات لاستخدام الفنون كالموسيقى والرسم واللعب في العلاج النفسي، وقد ساعد على ذلك انتشار العديد من النظريات التربوية والفنية التي عمت العالم في الستينيات والتي رأت إنه «يمكن تغيير العالم من خلال الأنشطة الفنية» يرجع الفضل في توجيه استخدام الدراما في العلاج النفسي للرجل صاحب مصطلح دراما الطفل، بيتر سليد peter salad.

من ناحية أخرى كان المسرحيون قد بدأوا باستخدام بعض النظريات النفسية في إبداع مسرحهم، لتفسير الواقع المحبط الذي يعيشه الإنسان، مثل بيتر بروك، ومسرح القسوة theatre of cruelty، والتي ظهرت ملامحه في مسرحية مارا صاد، وفي بولندا كان المسرحي الكبير جيرزي جروتوفسكى Jerzy Grotowski يقوم بتجاربه، في تدريب الممثل على إعادة التفكير في النفس وكيفية تعاملها مع الواقع الإنساني، وكان منهجه علاجياً لكل من الممثل والمُشاهد معاً.

أثرت هذه الاتجاهات منذ الستينيات على سوياننج Sue Jennings لتكون أول جمعية لاستخدام الدراما في العلاج النفسي Remedial

drama ، واعتمدت على الأساليب المتطورة فى استخدام الدراما فى التعليم، لتطبيقها فى بعض المجالات الإكلينيكية، وفى عام ١٩٧٠م أطلق عليه مركز العلاج بالدراما Drama therapy center

#### العلاج بالدراما، المعنى والمنهج: (٤ - ١٠)

حتى نفهم المنهج العقلى المتبع فى العلاج بالدراما، سنطرح المثال التالى «لنفرض أن شخصا مستغرق فى النوم وقام فى منتصف الليل فجأة وسمع صوتا غامضا، أصابته الدهشة، ما هذا الصوت؟ وبالتالى يبدأ العقل فى العمل بحثا عن إجابة، ويقلب عشرات الإجابات التى ترد عل خاطر، وأخيرا قرر أن يقوم فى حذر ليرى مصدر الصوت، فيكتشف أنه قد نسى نافذة الحمام مفتوحة، فيضحك، ويستريح، ويغلقها ليعود إلى النوم هادئا بعد أن اكتشف مصدر الصوت الذى أصبح له معنى» هنا لو حاولنا تحديد منهج الفعل العقلى فىمكن أن نضعه فى أربع خطوات:

١ - المرور بتجربة ما أو خبرة Experience.

٢ - محاولة البحث عن تفسير لفهم هذه التجربة Understanding

بالسؤال عن كنه هذه التجربة ؟What was that

٣ - محاولة التفكير مليا حول التوقعات المختلفة reflection على

ضوء العديد من الخبرات السابقة سعيا وراء كل الاحتمالات للوصول إلى الإجابة المرضية.

٤ - اتخاذ القرار.

وكما رأينا فالخبرة أو التجربة تأتي عن طريق الحواس، أرى شيئاً  
أسمع شيئاً إلخ، ومحاولة الفهم هي عملية عقلية يمتاز بها الإنسان  
عن باقي الكائنات، وهذا يتطلب التساؤل عن كنه التجربة بالبحث  
عن الإجابات وعند معرفة الإجابة لا يبقى السؤال سؤالاً، وعليه  
لا بد من اتخاذ القرار. وهذا ما يعرف بمنهج الاستبطان أو الاستبصار  
Introspective methodology وهو المنهج الذى يستخدم فى العلاج  
بالدراما، ويميزه عن غيره من مناهج العلاج النفسى.

أما المعنى الذى يفرضه استخدام هذا المنهج على العلاج بالدراما،  
فهو فى رأى «Hymi wyse» «هو فعل إبداعى يعمل على تعميق الوعى  
لدى الفرد بالعالم من حوله. وبذاته، وبالأخرى؛ ويقوم به المعالج متبعاً  
هذا المنهج. والمعالج الدرصى هنا مثله مثل الشعراء والفنانين، يسعى وراء  
الفهم لمزيد من الوعى، من خلال احترام التفرد فى التجارب التى تميز  
كل إنسان، فليس هناك قالباً واحداً يمكن أن نصب به كل البشر.  
هو شخص يسعى لفهم الغموض الأساسى للحياة، قادر على حل كل  
المشكلات؛ من خلال محاولة الفهم والسعى للإجابة عن أسباب إدراك  
هذا الفرد للعالم المحيط بهذا الشكل. مستفيداً من كل المدارس النفسية.

### ما العلاج بالدراما Drama Therapy؟

إن تعريف ماهية العلاج بالدراما تؤكد بالضرورة على أهمية تأثير  
قدرات الإبداع والتعبير، يعاكس العلاج النفسى بالتحليل النفسى مثلاً،  
والذى يؤكد على العلاقة ما بين المعالج والمريض والعمل من خلال

الصراعات والتوتر الناتج عن هذه العلاقة. وهذه العملية تعرف بالتحويل  
Transference ، والتحويل المعاكس Counter Transference .

لكن تعزيز القدرات التعبيرية والإبداعية باستخدام المواقف والبناء  
الدرامى، قد يسمح بظهور التعبير الرمزي عن الانفعالات والذي يختلف  
تماما عن العلاج النفسى بالكلام. ومما لاشك فيه أن المعالج الدرامى  
Drama Therapist قد يشجع الاستكشاف اللفظى للانفعالات، لكنه  
قد يفعل هذا من خلال الدراما ذاتها، وليس بالضرورة بطريق مباشر.

فى عام ١٩٧٩م عرفت الجمعية البريطانية للمعالجين بالدراما The  
British Association for Drama Therapist (B.A.D.M) العلاج  
بالدراما بأنه «وسائل تساعد على الفهم والتخفيف من المشاكل النفسية  
والاجتماعية والاضطرابات العقلية، كما تيسر من التعبير الرمزي والذي  
من خلاله يمكن للمريض أن يقترب من ذاته سواء أكان فردا أو جماعة  
بواسطة المواقف الإبداعية المتضمنة للتواصل بالصوت والجسد» ويتغير  
مفهوم المرض العقلى والاضطرابات العقلية تغير التعريف عام ١٩٩١م،  
كما حددت ملامحه الجمعية البريطانية إلى أن «العلاج بالدراما هو  
الاستخدام المقصود (أو المخطط) للجوانب والقدرات العلاجية للدراما فى  
العملية العلاجية» وقد طرح هذا التعريف عددا من التساؤلات، مثل ما  
هى الجوانب العلاجية للدراما؟ هل هذه الجوانب قد تسبب ألما؟

فى عام ١٩٩٢م ظهر تعريف آخر بواسطة Jennings تقول فيه  
«العلاج بالدراما، هو الاستخدام المحدد للتركيب المسرحية Theatre  
Structure والعمليات الدرامية، مع قصديه واضحة وهى العلاج»

ونحن هنا نواجه بمصطلح التركيبة المسرحية (البناء المسرحي) Theater Structures والذي يعكس النموذج المسرحي الذي تستخدمه Jenning في العلاج بالدراما.

فهى ترى أن المعالج بالدراما لا يعتبر معالجا نفسيا، بل هو فنان مبدع، وأن العلاج بالدراما كمهنة تمتد جذورها إلى أعماق فن المسرح. نخلص مما سبق إلى أنه يمكن تعريف العلاج بالدراما بأنه «العلاج من خلال الدراما والذي يتيح للمريض من خلال استخدام الأساليب الدرامية، أن يستبصر ويكتشف الانفعالات فى مكان ما وفى زمن ما بين الواقع والخيال، داخل مواقف اجتماعية».

وحتى يمكن أن نفهم بقدر أكبر، وتتضح الصورة أمام البعض حول كيفية تحقيق العلاج من خلال الدراما، سنحاول أن نتعرف إلى تلك الجوانب العلاجية للدراما والتي تشكل الأساس النظرى والتطبيقي للعلاج بالدراما.

#### العلاج بالدراما: العمليات الجوهرية من منظور درامى (5-8)

لو حاولنا من خلال المنهج العقلى السابق أن نحدد لماذا الدراما فى العلاج بالدراما؟ أو كيف توظف الدراما هنا: نجد الإجابة تتلخص فيما قاله Phil Jones، بأن الدراما تعمل من خلال التواصل اللفظى وغير اللفظى على نقل ما يدور فى العالم الداخلى للفرد إلى الخارج فيما يعرف بالإسقاط الدرامى dramatic projection، فمن خلال الحوار، وحركة الممثل، يمكن للممثل أن يعبر عما يدور فى داخله من صراعات أو اضطرابات، تصل معانيها إلى المتلقى الذى يحاول تفسيرها وفهمها،

ليتخذ القرار المناسب، وهذا ما يعرف بالإسقاط العاطفي Empathized projection، ويتم هذا من خلال الإسقاط والتوحد، اللذان اعتبرهما فرويد ميكانيزمات دفاعية، والأمر هنا مختلف، وقبلها يكون الممثل من خلال التدريب، قد تبصر بها حتى يستطيع أن يؤديها، وهذا دور التدريبات والمناقشات في جلسات العلاج بالدراما، وبالتالي يمكن إيجاز ما يحدث في الإسقاط الدرامي، على النحو التالي:

- ١ - العمليات التي يسقط بها المريض عالمه الداخلي على الأدوات أو العناصر الدرامية التي يستخدمها في العرض ويظهر بها عالمه الداخلي.
- ٢ - يساعد الإسقاط الدرامي على اكتشاف عناصر المرض.
- ٣ - يتولد لدى المريض علاقات جديدة من خلال التعبير و الاكتشاف للعناصر النفسية.

١ - من خلال العلاقات الجديدة يمكن إعادة تكامل البناء النفسى وتغيير الوعى بالأشياء.

أما ثانياً العناصر الدرامية الموظفة في العلاج بالدراما فهو العرض، والذي نعرفه هنا بالعرض العلاجي therapeutic performance، وهو العملية التي يتم بواسطتها أداء العرض في إطار العلاج بالدراما، وهي تتكون من عناصر إعداد الفكرة والتدريب، ثم العرض، وأخيراً البعد أو الانفصال Disengagement وإن كان هذا الترتيب يشترك مع ترتيب عناصر العرض المسرحي إلا إن الاختلاف يأتي في المعاني المختلفة التي نصل إلى معرفتها في الإطار العلاجي.

يتأخص تكوين الفكرة في محاولة الوصول إلى الأسلوب والشكل الأمثل للتعبير عن المشكلات المرضية بعناصرها التي يشعر بها المريض،

أما التدريب فهو التدريب على عناصر الشكل ، وقد يكون تدريباً داخلياً ذاتياً، أو تدريباً باستخدام بعض العناصر المسرحية التي تساعد على الوصول إلى التعبير المناسب والكافي لإشباع احتياجات المريض.

أما العرض Showing، فهو عملية الأداء أو التعبير، التي قد يشارك فيها المريض آخريين، أو قد يعمل بمفرده، أما البعد أو الانفصال فيقصد به خروج المريض من الاندماج المباشر، ليراقب ما تم بعين ناقد من أجل مزيداً من الفهم سعياً لاتخاذ القرار المناسب لتغيير العلاقة بينه وبين أسباب المشكلة النفسية التي يعاني منها.

وهذا ما يعرف بوجود المسافة الجمالية بين الواقع والعمل الفني Aesthetic distance وهي من اكتشاف بيرخت، الذي يؤكد على أن الممثل لا بد أن يظل ممثلاً منفصلاً عن الدور الذي يؤديه، مذكراً نفسه والمشاهد دوماً أنه ممثل يلعب دوراً، يستحق التفكير في أبعاده ولما كان العلاج بالدراما مثل المسرح يأخذ مكاناً بين زمانيين، الواقع/الدراما، وبين مكانيين، الواقع/المسرح، فيجب أن تكون هناك هذه المسافة التي تسمح بالمراقبة والنقد، وتساعد على اكتشاف الدافعية، وأسباب الانفعال والصراع، والمفارقة، التي تسمح للفرد من المشاهدين/المؤدين أن يفحص قضية الشخصية الدرامية بحرية.

ففي جلسات العلاج بالدراما يدعى المريض للدخول من خلال الواقع الدرامي إلى واقع غريب يمكنه في النهاية من إزاحة القلق والاستبصار بالحقيقة، حيث يسمح له بالنظر إلى كل الأفكار والمشاعر التي تحملها الشخصية الدرامية وهو على مسافة بعيدة عنها، وعندما يعود إلى الواقع

اليومي يعكس ما اكتشفه من رؤى تولدت لديه خلال العمل بجلسات العلاج بالدراما على هذا الواقع. فيغير من حياته إلى الأفضل.

## المجاز Metaphor

تفترض Jayne أن المجاز وسيلة لفهم شئ غير مألوف، بإبداله بشئ أكثر ألفه، ومعنى هذا أننا نصف ونفسر مالا يمكن تفسيره بما نعرف، حتى نصل إلى الفهم.

اعتد المسرح على المجاز بشكل كبير لطرح العديد من القضايا، خاصة الأمور غير المدركة في محاولة لفهمها وتفسيرها، ومثال على ذلك مسرحية أوديب ملكا Oedipus Rex لسوفكليس. والتي ركزت على أفعال البطل المأسوي قبل أن تقدم أى تفسير لأفعاله ومن خلال سير المسرحية نرى ماضى وحاضر البطل فى نفس اللحظة، ونفهم كل منهما فى ضوء الآخر. ويقول (Knoy ١٩٦٠م) أن النظام المجازى فى أوديب ملكا، كان يعبر عن الصراع بين الجهل والمعرفة بين كف البصر والبصيرة. هذا هو المجاز الذى لجأ إليه المسرح الإغريقى ليكشف رؤية العالم من خلال تشبيه الأشياء غير المألوفة بأخرى مألوفة، والعلاج بالدراما يستخدم أيضا التمثيل المجازى ليعبر عن القيمة غير المدركة فى الخبرة الإنسانية، ليصبح الفعل أكثر فهما، ذلك أن الدراما كما يقول بولتون (Bolton. ١٩٧٩م) «هى مجاز، والاثنين مترادفين، ويصف خبرة(أن هذا حدث لى) كوظيفة للمسرحية الدرامية، وبالتأكيد فإن عامل (As If) (كما لو) هو عامل مشترك بين السيكودراما والعلاج بالدراما. وهو تفسير للمجاز فى كل منهم» (١- ٢٦٥).

يتم في العلاج بالدراما تناول قضية ما يفجرها أحد أفراد الجماعة، وتساعد المجموعة من خلال تقنيات الارتجال ولعب الأدوار على خلق موقف استعارة أو مجاز حول هذه المشكلة (اختيار الفكرة). ثم يتم التدريب على الفكرة والحوار والأدوار. حتى تصل المجموعة إلى الموقف أو المعادل الاستعاري للقضية الأساسية. ولا يفضل أن يشرح أو يفسر أحد المجاز أو الاستعارة المستخدمة، حيث لا بد أن يتم الشعور به انفعالياً ولا يلاحظ بشكل مباشر. وتتنوع مصادر المواقف الاستعارية في العلاج بالدراما إلى الألعاب الدرامية، رواية القصة، لعب الأدوار، النصوص المسرحية المعروفة، لمساعدة المرضى على التعرف إلى المزيد من الأدوار وأساليب السلوك، ليوسعوا من دائرة الأدوار المدركة لديهم سواء أكانت أدوار مضادة أو سائدة.

#### الأسس الدرامية ومصادرها في العلاج بالدراما:

إن المتفحص لمصادر الأسس الدرامية التي لجأ إليها المعالجون الدراميون ليؤسسوا لفنهم هذا سيجد أنه يمكن أن نحصرها في:

١ - دراما الطفل ولعبة الإيهامي.

٢ - فن العرض المسرحي.

٣ - النصوص والمصادر المتنوعة للدراما.

٤ - الدراما الشعبية والطقوس.

وسنحاول هنا أن نتعرف إلى تلك المصادر كيفية تأسيس العلاج بالدراما، وظهوره على يد نخبة من العلماء الواعين المبدعين.

## أولاً: دراما الطفل ولعبة الإيهامى:

من المعروف أن الدراما فعل غريزى فطرى فى سلوك الإنسان، وتراه بشكل واضح فى لعب الأطفال الذى يعتمد على المحاكاة والتقليد، وإن كان الطفل يمارسه دون وعى منه، لكن عندما بدأ بعض التربويين فى محاولات توظيفه بوعى، كان من أنجح السبل المساعدة فى العملية التعليمية وتعديل السلوك.

إن لعب الأطفال ذو الطبيعة الدرامية خاصة ما يعرف باللعب الإيهامى ذلك اللعب الذى يعتمد على الاندماج والمحاكاة، والتقليد والتوحد والتشخيص، ولعب الأدوار، والتي استفاد منها كثير من المعالجين أمثال مورينو وبيبرلز والذى كان له فضل اكتشاف ما يعرف باللحظة الفطرية أو العفوية Spontaneous Moment Perils والتي يترك فيها المريض على سجيته ليشرح أو يمثل ما يريده (كما يلعب الطفل لعبة الإيهامى) فسوف تؤدي إلى الكشف عن اهتماماته الدفينة.

هذه اللحظة تعتمد على فعل التشخيص واستحضار الخبرات السابقة من الحياة اليومية. والتي لها أثر فى حياة المريض وقد ترتبط به أو يغيره ممن أثروا فى حياته. لذلك يعتمد العلاج بالدراما على التشخيص والذى يتم فيما يعرف بالمكان الآمن أو المعزل والذى يسمح باستحضار هذه الخبرات فى أمان، حتى يمكن فحصها وفهمها، وكما فى جلسات التحليل النفسى، فإن المريض قد يحيل أو يحول بعض الخصائص الدالة Significant Characteristics لشخص ما أثناء لعبة الإيهامى أو تشخيصه وليكن شخص الأب مثلاً على المعالج، أو على شخص

من الجماعة يحل محل شخصية الأب كما فى السيكدوراما، أو يقوم هو نفسه بأداء دور الأب كما لو كان (as if) هو الأب فى مشهد أو موقف معين، وهذا ما يعرف بالتحول Transference والذى يعد من أهم أسس العلاج بالدراما والذى لا يقتصر على لعب الأطفال فقط، بل موجود أيضا فى العلاج الشعبى والعلاج بالسكر وتحضير الأرواح وفى الأحلام والخيالات وفى البروفات والتدريبات المسرحية وفى جلسات العلاج النفسى.

والتشخيص هو عملية درامية تعمل من خلال مستويين، مستوى واقع الحياة اليومية ومستوى الواقع المستحضر أو المشخص والذى يتحول فيه الممثل المريض إلى الشخص الآخر ذو الوقائع الدالة ومن خلال تشخيص المريض. للواقع الحياتى بأشخاصه وعلاقاته مع ذاته والآخرين. واستحضارهم عن طريق خياله فى هذا الواقع المستحضر أو المشخص. يمكن أن نفهم بشكل أفضل طبيعة واقعه الحقيقى، ورغباته ومعوقاته، ونحاول منها أن نساعد على إعادة ترتيب الأجزاء داخل البيئة الواقعية الحياتية له. تماما كما نستطيع أن نفهم من لعب الطفل الإيهامى: رغباته واحتياجاته ومعوقاته.

#### ثانيا: فن العرض المسرحى:

والعرض المسرحى هو شكل آخر للفعل الدرامى والذى لا يعتمد فقط على الوعى، بل على القضية أيضا، من خلال أداء ممثل، وتجسيده لشخصيات محددة فى موقف اجتماعى بدون فى نص، على جمع من المشاهدين، فى مكان مخصص لتقديم هذا العرض هو المسرح. فالمسرح

هو الخبرة المباشرة لاتفاق جماعة من الناس على مواجهة بعضهم البعض في مكان معين ووقت محدد، وفيها تسلك مجموعة منهم كما لو كانت أشخاص غير ذاتهم، وهم الممثلون الذين يؤدون أدوارا وشخصيات مختلفة. أما باقى المجموعة وهم المشاهدون فإنهم يتقبلون كل ما يعرض أمامهم بمصداقية موضوعية حيث إنهم أرجئوا كل الشك فيما يقوم أمامهم. وهذا وداخل إطار الزمان والمكان، يكون الممثلون هم الشخصيات التى يلعبونها (يمثلونها) فى مكان متوهم وزمن متخيل.

هذه التقنيات والمفاهيم بداية من توهم المكان والزمان والتشخيص، وإرجاء الشك والتى يعتمد عليها فن العرض المسرحى، تشكل أساس المواقف العلاجية والتى تتكون من الممثل/ المريض أو مجموعة المرضى، المخرج/ المعالج، مكان العرض/ مكان الجلسات، والزمن المحدد للجلسة/ للعرض، والهدف العام الذى يسعى كل من المسرح/ العلاج لتحقيقه.

وتعتبر Sue Jenning من أهم المعالجين بالدراما الذين قاموا بتفسير العلاقة بين تقنيات العرض المسرحى والعلاج بالدراما، بل بناء على فهمها الحقيقى للقدرة العلاجية للدراما والمسرح، أقامت منهاجا حقيقيا للعلاج بالدراما.

ومن أهم المفاهيم التى اعتمد عليها فى عملها العلاجى، مفهوم المسافة الدرامية، أو المسافة الجمالية Dramatic or Aesthetic distance. والتى تسمح من خلال المفارقة من تعميق الخبرة بالواقع، ويستفاد من وجود هذه المسافة التى تسمح بالتجوال ما بين الواقع والخيال فى العلاج بالدراما، عنها فى السيكدوراما. بمعنى أنه فى السيكدوراما

يتعامل المريض مباشرة مع المادة الخاصة به أى يكون أكثر التصاقا وقربا من واقعه أى تقل هذه المسافة أو تنعدم.

أما فى العلاج بالدراما، فإنه من خلال تعامل المريض مع قصة أو أسطورة، أو نص درامى، يصبح أكثر بعدا عن مشكلته الخاصة، يصبح فى بعض الأحيان مراقبا لها. وهذا يسهل له الفهم والاستبصار من خلال ما تحققه المسافة الدرامية، هذه بالتجوال السريع ما بين الواقع الذاتى والموضوعى، ما بين العالم الرحب Macrosmos إلى عالمه الضيق Microsmos.

ويساعد كل من المعالج/ المخرج والتدريبات والجلسات العلاجية على وجود هذه المسافة وتوظيفها بشكل جيد يحقق الهدف منها وهو خلق توازن ما بين الواقع والخيال، وتحقيق الاستبصار والفهم للمشكلة النفسية أو الاجتماعية التى يتعرض لها المريض.

فإن كان المخرج المسرحى كما يقول عنه بيتر بروك «إنه عامل مساعد، يعمل على مساعدة الممثلين على أداء الدور من خلال الفهم والتفسير للشخصية التى يتدربون عليها، ثم يعرضونها أخيرا على الجماهير، فيكون المعالج الدرامى كما يقول Steve Mitchil ١٩٩٥م «هو عامل مساعد أيضا لكنه يساعد المريض على تحويل مشاكل الحياة اليومية إلى واقع مسرحى أو درامى، ليتعرف من خلاله إلى الصورة المناسبة للموقف والشخصيات، ويجسدها معرفيا وانفعاليا من خلال فهمه لها والذى ساعده المعالج على إدراكه، وبذلك يسهل من عودة المريض إلى واقع الحياة اليومية من خلال ذلك الفهم والمعرفة».

أما بالنسبة لجلسات العلاج وتدريبات الممثل، فيقول مالدموم Meldum ١٩٩٣م «إن التدريبات المسرحية أو البروفات، وكذلك الجلسات العلاجية، تتيح للدرسي/ الممثلين، الفرصة لاستخدام قدراتهم الفيزيائية لينمو ويطوروا من تشخيصهم للأدوار، وأن يشاركوا أيضا بقدراتهم العقلية في ذلك، ومن خلال الإسقاط والمجاز والاستعارة، والرمز يمكن للدرسي أن يعبروا عن أنفسهم، بأجسامهم، وأصواتهم حسب مشاعرهم ورغباتهم، التي يسقطونها من خلال الأداء الدرامي أو التمثيلي للأدوار التي يمثلونها.

إذا فالسافة الدرامية أو الجمالية هنا تساعد المعالجين بالدراما من خلال مفهومين مفهوم البعد المسافي والأليب الإسقاطية. وسنحاول التعرض لهما بإيجاز:

### ١- البعد المسافي Distancing

البعد المسافي باختصار هو وسيلة يلجأ إليها الإنسان للانفصال أو البعد الشخصي عن الآخر، أو للاقتراب والاتصاق بالآخر، وتمتاز كافة العلاقات الإنسانية بوجود درجات من البعد المسافي هذا، وعموما في حالات السواء لا بد من وجود حالة من التوازن بين الحالتين، الابتعاد والاقتراب. ويمكن للشخص أن يتحكم فيهما. وهذه المسافة قد تكون فيزيقية كالحفاظ على مسافة من عدة أقدام بعيدا عن الآخر. أثناء المواجهة الحوارية، (التحاور)، كما قد تكون افتعالية، كما في اختيار التعاطف تجاه رأي الآخر. أو تكون المسافة عقلية، كما في اختيار

التحليل بدلا من التعاطف مع مشاكل الآخرين، وغالبا ما تكون هذه المسافة مزيجا متداخلا من المسافات الفيزيائية والانفعالية والعقلية. والمسافة هذه لا تعنى فقط العلاقة بين شخص وآخر لكنها أيضا ظاهرة نفسية، قد تتجسد في الشخص الواحد، كتوحد الفرد بشكل كبير ببعض الأدوار التي يلعبها، وانفصاله عن أدوار أخرى، فالشخص قد يتوحد بقوة بدوره المهني مثلا، لكنه قد يعزل نفسه عن أحد الأدوار العائلية

كابن أو زوج، وهذا يظهر لدى البعض الذين يبدون الحيوية والإيجابية في العمل والسلبية في المنزل.

ويستخدم مفهوم البعد المسافى أو المسافة، هذا، فى العلاج الدرامى بشكل كبير، حيث يقوم المعالج بتحديد مدى كبير من التقنيات الدرامية والإسقاطية التي توظف داخل مواقف متنوعة من العلاقات بين الذات والدور، والذات والآخر، ومن الوسائط التي يمكن الاستعانة بها هنا - العرائس والأقنعة - والتي تساعد على خلق المسافة من جهة وتحقيق الإسقاط من جهة أخرى.

ويعتمد المعالج الدرامى على هذه المسافة فى فحص العلاقات الجدلية ما بين الممثل والمشاهد، أو النفس والدور، وما بين دور وآخر. وذلك من خلال اكتشافه لدرجة الانفصال أو الاقتراب، داخل هذه العلاقة، التي يحقق من خلالها المعالج أهدافه، والتي تتضمن إكساب المريض القدرة على التمييز ما بين الأدوار للحصول على مزيد من السيطرة على دور ما أو من أجل أن يحد من تسلط دور ما. بمعنى أدق أن يساعد المرضى على

التفرقة بين السلوك المناسب لذواتهم، والسلوك المناسب للآخرين، هذا بجانب مساعدة المريض على إيجاد التوازن المناسب بين المشاركة في الفعل الدرامي، وملاحظة الفعل بمعنى التوازن ما بين الدور كموضوع، والدور كهدف.

## ٢- الأساليب الإسقاطية:

يساعد على وجود مفهوم المسافة أو البعد المسافى ما يعرف بالأساليب الإسقاطية، فعندما يلعب المريض، بالدمى أو العرائس أو المجسمات، أو يرتدى قناع أو يضع ماكياج على وجهه، فإنه أولا ينفصل بشكل واضح عن ذاته، ومع ذلك فإن الجانب غير الذاتى (القناع أو العروسة) يتعلق به بعض من خصائص الذات، التى يمكن ملاحظتها بسهولة من خلال الإسقاط.

فالقناع وغيره من الوسائل التى تساعد على تحقيق المسافة الدرامية هنا، يحقق أيضا حدا من الأمان للمريض، يتحرك خلاله وكأنه ليس ذاته، لكن سرعان ما يبدأ فى تمثيل ذاته وحياته، لكنها تكون هنا حياة العروسة أو الدمية، أو القناع لكن باسم آخر، وفى موقف آخر، وهنا يسعى المعالج من خلال الأساليب الإسقاطية فى تحقيق التوازن النفسى المناسب للمريض، ويخلق اللحظة الجدلية المناسبة للتفكير والانفعال، بين الفعل المتخيل والفعل المنعكس.

إن استخدام العرائس والدمى وغيرها من الأساليب الإسقاطية، تساعد المعالج على استخدام الجدول المتبادل الذى يعتمد عليه تماما الإبداع المسرحى، فالممثل على المسرح هو واقع وخيال فى نفس الوقت،

هو شخص وقناع، وهو موجود فى فراغ مكون من غرفة حقيقية وسلسلة من المسطحات والستائر ذات البعدين، وهو يتعامل مع أشياء تبدو حقيقية، لكنها معدات مسرحية مزيفة. إن المفهوم الغامض بأن العروسة هى حقيقة وزيف فى نفس الوقت هو عنصر المسافة أو البعد المسافى الضرورى لوجود المواقف الدرامية العلاجية. ووظيفة المعالج هنا هى مساعدة الأطفال/ المرضى على زيادة أو تقليص هذه المسافة من أجل أن يتحركوا تجاه الفهم والتغير.

والعلاقة التى نشير إليها هنا بين العرض أو فن المسرح وفن العلاج بالدراما، ليست علاقة جديدة أو مستغربة، لأن هناك تداخل بين هذين الفئيين، فعلى المستوى الاصطلاحي غالبا ما يستخدم المعالج ورجل المسرح نفس اللغة، فالدور Role على سبيل المثال هو مصطلح مشترك سواء إن كان يدل على مشهد أو شخصية فى المسرح أو كعامل مساعد لتحديد الذات كما يوظفه علماء النفس والاجتماع. هناك أيضا مفهوم القناع Mask والذى عرفه المسرح من الطقوس العقائدية فى المجتمعات القديمة، والذى يستخدمه المعالجون النفسيون لوصف الاختلاف فى السلوك والأدوار استجابة لظروف اجتماعية معينة، وما مفهوم ال Persona عند يونج إلا مرادفا للقناع.

هناك أيضا التطهير Catharsis والذى اعتبره أرسطو الوظيفة الأساسية للمسرح، وكيف أثر هذا المفهوم على فرويد مؤسس التحليل النفسى ومورينو مؤسس السيكودراما.

كما تأثر علماء النفس بالعديد من الإبداعات الفنية الدرامية، واعتبروها نماذج دقيقة لكثير من التركيبات النفسية البشرية وما يصيبها

من اضطرابات نفسية أو اجتماعية، «ولدينا عقدة أوديب وإليكترا»  
التي أشار إليها فرويد استنادا على مسرحيتين يونانيتين هما أوديب  
ملكا وإليكترا.

ويقول انطوان ارتو Antonin Artaud عن الدور التطويرى للمسرح  
«إن المسرح يهدئ من الصراعات. ويفصل القوى المتصارعة داخل  
النفس. ففعل المسرح مثل فعل الكوارث. يساعد الشخص أو الأشخاص  
على رؤية ومعرفة أنفسهم وذواتهم كما هي. فهو يساعد على سقوط  
الأقنعة، ويكشف الكذب والرياء الموجود فى العالم».

والمكاشفة هذه، هى واحدة من الأهداف التى يسعى إليها المسرحيون  
والمعالجون النفسيون مع الأهداف المعرفية والعيانية والاستبصارية.  
والأهداف الوجدانية والاهتمام بالمشاعر، والتعبير بالسلوك عن المشاعر  
والانفعالات.

وأخيرا نجد أن عمل المعالج النفسى يشبه إلى حد كبير عمل المخرج  
المسرحى، فالمعالج النفسى يحاول مساعدة المريض على تجسيد حياته  
اليومية من خلال التذكر، وإعادة الأداء للأحداث، والمواقف حتى  
إن من يمارسون العلاج بالسيكودراما من المعالجين النفسيين يفضلون  
أن يلعبوا بالمخرج، ويستخدمون فى أعمالهم تقنيات الارتجال ولعب  
الأدوار، وبعض تقنيات إعداد الممثل.

### ثالثا: النصوص والصادر المتنوعة للدراما:

يعتمد العلاج بالدراما على ما يعرف بالموقف الدرامى الذى يقوم  
المعالج بإعداده دراميا Dramatization بعد أن يختاره من مصدره،

فى شكل موقف تمثيلى أو درامى ، حتى يتيح للريض فرصة المشاركة فى أداء أو تجسيد هذه المواقف مستخدما الصور الخارجية المحيطة به فى الموقف الدرامى ، والصور الداخلية التى يستحضرها من الذاكرة ، ليستخرج بها ذلك الجانب المشكل فى حياته ، ووجوده ، ويتعرف من خلاله إلى أسباب مشكلته ، وقد تأخذ هذه الصور شكل شخصية ما ، أو علاقة ما ، أو أى شىء يكون قد أثر فى واقع المريض . والذى يعبر عنها خلال أدائه بالحركة والصوت والمونولوج الحوارى ، وقد يكون هذا الموقف مكتوبا أو معدا لممثل واحد أو لمجموعة من الممثلين .

وفى إعداد الموقف الدرامى للعلاج ، وفى استقرائه يعتمد المعالج على العلاقة الزمنية للأحداث فهى قد ترتبط بزمن ماض فى حياة المريض ، ويتم استخراجها من خلال التكرار وإعادة التعشيل . لتحقيق الفهم الأعق له ، فقد يساعد ذلك على المعرفة والفهم اللازمين لتجاوز الأزمة ، أو قد يكون مرتبطا بحدث قد يتوقع حدوثه فى مستقبل حياة المريض ، ويتم إعداده لإحداث تغيير فى موقف أساليب المريض لينجح فى التعامل مع مثل هذه المواقف مستقبلا ، أو يكون ذو حدث مرتبط باللحظة الحاضرة للمريض ، وعموما فإن معظم المواقف الدرامية تتداخل فيها الأزمنة بمعنى إن كان الزمن يدور فى الماضى فهو يلقى بظلال على الحاضر ويرهص للمستقبل . وهكذا .

أما عن مصادر هذه المواقف فتتنوع تبعا لأسلوب المعالج ، والأمر يشبه إلى حد كبير المصادر التى يكتب منها المسرح . فهناك من يفضل التعامل مع مواقف من واقع المريض . ويعدها دراميا فى بناء من مشاهد وحوار

وشخصيات، وهناك من يلجأ إلى الأساطير العالمية والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية، ينتقى منها ما يتشابه فى رموزه مع الحالة المرضية التى يسعى لعلاجها، كما فعل البعض عند علاج حالة من الشعور بالدونية والعزلة لدى بعض الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، الذين يتحركون على كراسى بعجلات، وكانت حكاية «البطة القبيحة» المعروفة هى المناسبة برموزها، لإكساب الأطفال الثقة بالنفس بعد إعدادها وتمثيلها كموقف درامى علاجى، وهناك من يستخدمون نصوصا مسرحية معروفة من الأدب العالمى يختارون منها أجزاء ومواقف درامية تصلح من وجهة نظرهم للعلاج بالدراما، وأياً كان المصدر فإن الرمز كما قال جيرزى Gersie هو العامل الحاسم للاختيار، حيث قال: «لابد من وجود الترميز أو الرموز التى تتشابه مع واقع المريض، فإن التعامل مع هذه الرموز الدرامية يكون بمثابة المثير الذى ينبه ويوقظ ذاكرة وخيال المريض، ومن هذا المنطلق يمكن اختيار تلك القصص التى تساعد المعالج على اكتشاف تلك الميكانيزمات التى يمكن أن يستجيب بها المريض للضغوط المختلفة، كما يرمز إليها الموقف الدرامى الذى يشارك فيه.

هناك أيضا من يلجئون إلى أسلوب البناء القصصى أو الإبداع القصصى Story Making كأسلوب علاجى، فعندما يتعرض المريض لبعض العناصر المجزئة والتى يمكن أن يبنى منها قصة ما، أو موقفا دراميا، كعناصر من حكايات الخوارق أو الأساطير، ثم يطلب منه أن يجمع هذه العناصر ويبنى منها قصة أو موقفا دراميا يحاول سرده ارتجالا بأسلوبه، فإنه عند إعادة تجميع هذه العناصر سيقط عليها

كثيراً من وقائع حياته الشخصية ووجوهات نظره وانفعالاته، والتي تكون نتيجة لإثارته بعدد من الرموز كما قال جيرزى «الأرض الفضاء: القصر المهجور: الشخصيات الرئيسية، الشخصيات المساعدة، المعوقات. الحلول التي يلجأ إليها الطفل».

في نفس المعنى Lohed يعتمد في الحكايات والقصص التي يختارها: على عناصر من الشخصيات صاحبة الهدف أو الواجب الذي تسعى لتحقيقه، والشخصيات المساعدة، والمعوقات التي تيسق البطل عن تحقيق هذه الأهداف، والاستراتيجيات المشابهة التي تتبعها الشخصيات، والحلول المناسبة لتحقيق هذه الأهداف. وبعد عرض العناصر المختارة على المرضى، يطلب من المريض إعادة صياغتها في قصة ما، ويعبر عنها إما بالرسم أو الأداء التمثيلي، أو بإعادة روايتها في قصة.

أثناء ذلك يتعامل المعالج الذي يستمع إلى القصة أو يشاهد الأداء التمثيلي، مع هذا الإبداع التعبير Creative Expression بمستويات متعددة لكل منها معنى ودلالة تشخيصية، فهناك مستوى النغمة التي تحكى بها القصة، والمحتوى، والفكرة والأسلوب الذي يتبعه البطل للوصول إلى الحل. ويؤكد التعامل مع هذه المواقف الدرامية أياً كان مصدرها على مفهوم الدور الذي أشير إليه من قبل والذي يتلخص في أن الإنسان يلعب في حياته عدداً من الأدوار، والتي يحاول المعالج أن يتعرف إليها مع المريض في جلسات العلاج، من أجل تعريف المريض بالمزيد من هذه الأدوار، حتى لا يرتبط أو يلتصق بدور واحد، أو بعدد

محدد من الأدوار. فالهدف الأساسى من العلاج بالدراما كما سبق القول هو إكساب المريض المرونة والقدرة على التحرك من دور لآخر. تبعا للموقف الاجتماعى الذى يصادفه وبشكل سوى.

#### رابعا: الدراما الشعبية والطقوس:

تماما كما جاء المسرح من عبادة الدراما الشعبية والطقوس العقائدية فى المجتمعات القديمة، لم يستطع العلاج بالدراما أن ينجوا من أثر هذه الأساليب الشعبية أو يحد من الارتباط بقدراتها العلاجية، بل وجد فيها الكثير من المتابع والمصادر التى تساعد المعالج الدرامى على تحقيق أهدافه ومن أهم هذه العناصر ذات الدراما الشعبية:

١ - الكهانة والعلاج بالأرواح والسحر.

٢ - استخدام الأقنعة والعرائس، والتوسل باللون والمكياج.

فكيف يوظف المعالج الدرامى هذه العناصر القديمة فى الفن الحديث.

#### ١- الكهانة والعلاج بالأرواح والسحر Shamanism

هو واحد من أهم الممارسات الشعبية ذات الجذور الدرامية التى يحاول المعالجون بالدراما اليوم توظيفها فى مجالهم، والكهان أو الشامان Shaman أو المعالجون بالأرواح والسحر، هم رجال أو نساء كانوا ينتمون إلى الجماعات القبلية القديمة، كقبائل الأمازون، والغابات الاستوائية وسيبيريا، وأمريكا الشمالية، والذين كانوا يتوسلون بالقوى السحرية، وبالمعرفة الخاصة بالنباتات والأعشاب، والحيوانات الموجودة ببيئاتهم فى العلاج، كما كان فى مقدورهم الاتصال المباشر بأرواح السابقين أو أرواح الحيوانات من خلال استخدام بعض الممارسات الطقسية والنباتات ذات التأثير النفسى.

كان للمخرج البولندي جروتوفسكى الفضل في اكتشاف هذا الدور حيث بدأ في تدريب الممثل في ورشته على اعتبار أنه ساحر القبيلة الذي يستخدم الطقوس المختلفة لعلاج كثير من الاضطرابات والانفعالات داخل الفرد أو داخل الجماعة فالكاهن/ الممثل لدى جروتوفسكى قادر على إرشاد هؤلاء الذين يشاهدون أو يشاركون في العمل الذي يعتبر بالنسبة لهم شىء مجهول وأعتمد في ذلك على أن الكهانة والعلاج بالأرواح هى عبارة عن رحلة استكشافية للأبعاد المجهولة عن الواقع، من أجل الحصول على المعرفة، ومثل هذه الرحلة قد تكون غامضة على الفهم أو مخيفة أو حتى مضحكة، وعادة ما يتم مصاحبتهما بالطبول والموسيقى.

وكما تأثر جروتوفسكى بالممارسات العقائدية المتبقية من الثقافات الهندية والأفريقية؛ وبين المواطنين الأمريكيين، ربطت سو يونج ١٩٩٢م ما بين دور الكاهن/ المعالج مع الدور الذى كان للمعالج الشعبى فى العديد من الثقافات؛ وأكدت أنهما كانا متحدين أو مشاركين فى نفس الهدف، فالكاهن المعالج كان يسعى إلى إحداث تحول من خلال الجلسات التى تحضر فيها الأرواح، بتبادل الأدوار مع المريض، من أجل المعرفة المبنية على الاستدلال الرمزي للمرض وجذوره.

أما Reed Johnson ١٩٩٢م فيقول: «يجب على المعالج الدرامى أن يكون مقتنعا بدور الشامان. والذى كما يقول «هو أوثق الأدوار تعاطفا لعلاقة الدور ما بين المعالج والمريض. حيث يقوم المعالج/ الكاهن بتمثيل كافة الأدوار والصور المختلفة فى الدراما، بينما يقف المريض يشاهد كمتفرج. وإن كان بعض المعالجين قد تبرعوا من مثل هذا التطور، لأنهم

يعتقدون أنه من غير المناسب أن يلعب الممثل دور المريض دور المشاهد، لأن هذه العلاقة الغريبة - من وجهة نظرهم - تحتاج إلى تعمق المريض في حالته باعتبارها محور التدخل العلاجي، ومع ذلك فإن هذا المجال الجديد من العلاج بالطقوس مازال أمامه المزيد من مراحل التطور.

## ٢ - استخدام الأقنعة والعرائس والماكياج

ويرتبط استخدام هذه الوسائل بمفهوم التقنيات الإسقاطية، وهي مستوحاة من الدراما الشعبية، حيث كان الممثل يرتدى القناع أو يستخدم العرائس لينفصل عن شخصيته ويلعب دور الشخصية صاحبة القناع أو العروسة التي يحركها. وبالتالي من خلال المسافة الموجودة بين الممثل والشخصية يمكن للممثل أن يكون أكثر تحرراً في التعبير عن ذاته، خاصة وإن كان الارتجال هو السمة الغالبة على الأداء، وهذا المفهوم قريب من مفهوم التغريب البريختي والذي يقصد به اغتراب الممثل عن دوره، وانفصال المشاهد عن ذاته، ليفكر فيما يشاهده.

وهكذا الحال مع المريض الذي يرتدى القناع في جلسات العلاج، فإنه يتحول إلى الشخصية التي يرمز إليها القناع بكل رموزها، ويعبر عن خبراتها من وجهة نظره، ومن إدراك المريض للقيم والدلالات التي لشخصية القناع، يبدأ في التعرف إلى الخصائص الإيجابية التي قد تتحول إلى جزء من ذاته.

هذه بعض ملامح العلاج بالدراما، وإن كان الكلام عن هذا الموضوع يحتاج لكثير من الجهد، لكنني آثرت أن أقدم بعض ما يفتح شهية من

يريد أن يعرف: فالمعرفة لها طقوسها، ولها رحلتها بعيدا عن أبعاد الواقع القاصر عن المعرفة.

لكن: وكجانب تطبيقي أخير في هذه المقدمة، سوف أحاول التعرض للمقارنة ما بين العلاج بالدراما والسيكودراما، الأول بوصفه الحديث في عالم العلاج النفسى والثانى بوصفه الشقيق الأكبر والأقدم والأكثر شيوعا فى عالمنا العربى ولعل بهذه المقارنة نكون قد استوفينا هذه المقدمة.

### استخدامات العلاج بالدراما : (٦-١)

عرفت الجمعية الدولية للعلاج بالدراما، العلاج بالدراما، بأنه «الاستخدام المنظم لعمليات، ومخرجات، المسرح/ الدراما، لتحقيق بعض الأهداف العلاجية، لشفاء الأعراض، ولنمو وتكامل الشخصية والانفعال. «باعتبار أن العلاج بالدراما هو مدخل فعال يساعد المرضى على رواية قصصهم لحل المشكلات: ولتحقق التطهير ولاتساع مجالات الخبرة لديهم وتعميقها، ولفهم معانى الخيال وتدعيم القدرة على ملاحظة الأدوار الشخصية مع زيادة المرونة فى التحول بين الأدوار.

يعتمد العلاج بالدراما على التوازن بين المكونات اللفظية والغير لفظية، مع اللغة المجازية بالقدر الذى يسمح للمريض بالعمل بشكل فعال داخل جلسات العلاج. ويستفيد من العلاج بالدراما نسبة كبيرة من المرضى فى عديد من أشكال الجلسات التى تتم داخل المستشفيات، عيادات العلاج العقبلى، المراكز العلاجية، المنازل، مراكز علاج صعوبات التعلم، المدارس المصانع، السجون.

يستفيد من هذا العلاج، الأطفال ذو صعوبات التعلم، أو الاضطراب النفسى والمشكلات الاجتماعية، المرضى النفسيين، المعاقون، المرضى بالإيدز، أو من تعرضوا للإساءة جنسيا أو بدنيا، أو المسنون. وتحدد أهداف العلاج تبعا لخصوصيات كل فئة.

١ - العلاج بالدراما و الأطفال: (٧ - ١) يطبق العلاج بالدراما تبعا للنظام التعليمى العام فى المدارس، الابتدائى والثانوى، والتربوية الخاصة، ويساعد الأطفال المحتاجين إلى مزيد من الدعم والفرص لتبنى اتجاهات إيجابية: حول ذاتهم، وأقرانهم والكبار الذين يتعاملون معهم أو من يشكون من صعوبات فى النمو النفسى والانفعالن ويستخدم فى علاج صغار الأطفال، اللعب كوسيط للتعبير عن أنفسهم. ويوفر لهم العلاج بالدراما المكان الآمن ليعبروا داخله عن انفعالاتهم ومشكلاتهم، ويستخدم فى ذلك، القصص العلاجى. اللعب الحسى والحركة، اللعب الإسقاطى من خلال استخدام المجسمات والدمى، ولعب الأدوار.

٢ - العلاج بالدراما المعاقون عقليا: يقدم العلاج بالدراما العديد من المناهج المناسبة لعدد كبير من المرضى ذوى صعوبات التعلم، كما يساعد فى عملية النمو الانفعالى، من خلال بناء الثقة بالنفس، ويتم ذلك باستخدام مداخل اللعب، أما فى حالات الإعاقات المتوسطة، فتستخدم جلسات التركيز على القضايا الشخصية والتحول، ومع الأطفال ذوى المشكلات الكبرى PROFOUND DISABILITY، فتكون تنمية الثقة فى العلاقات من الأهداف طويلة الأجل. وهنا نحتاج إلى مزيد من التوازن بين الأنشطة، وأن يكون المعالج مراقبا للمريض دائما، وتتضمن الأنشطة هنا الحركة، الموسيقى، واكتشاف العلاقات والمشاعر.

٣ - العلاج بالدراما والمرض العقلي: (٧ - ٣) هناك جذور للعلاج بالدراما مع هذه المجموعة من المرضى، حيث أنشئ عدد من المسارح في بعض المصحات العقلية في القرن التاسع عشر في كل من فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا، من اجل علاج هؤلاء المرضى في جلسات جماعية، ويعمل العلاج بالدراما كعملية ليتحرك المريض من الإحساس بأنه مقهور وغير قادر على التعامل، إلى القدرة على بناء حدود صحية وتعلم تقنيات الاسترخاء وبناء الثقة بالنفس. فالعلاج بالدراما يساعد على اكتساب عدد من مهارات التواصل، والمهارات الشخصية، وبناء العلاقات الجيدة السليمة مع الآخرين، وأخيرا الحصول على المتعة. ومن خلال لعب الأدوار والملاحظة والنمذجة يمر المريض بخبرات واستراتيجيات بديلة، وبالتالي يكتسب القدرة على التعامل مع المشكلات. وتتحسن حياته.

٤ - العلاج بالدراما والمسنين: (٧ - ٤)، تعمل الدراما هنا على إثراء الحياة بالتأكيد على أهمية الحياة. وتعلم وجود هدف، بإعادة التأهيل وتنمية المهارات الاجتماعية.

٥ - التحكم في الغضب: (٧ - ٥) ويتم ذلك من خلال تعليم المريض: ملاحظة سمات وعلامات الغضب والتوتر. أن يكون لدينا التعليقات الخاصة بالتحكم في الغضب، مراجعة بعض معتقداتنا واتجاهاتنا وتوقعاتنا، تجزئة الأحداث إلى مراحل بسيطة لفهمها.



## العلاج بالدراما والسيكودراما أوجه التشابه والاختلافات

ما الفرق بين العلاج بالدراما Drama Therapy والسيكودراما Psycho Drama؟ سؤال كثيرا ما يدور في ذهن من يحاول العمل في أى من المجالين، حيث إن المجالين قد يثيران بادئ الأمر الكثير من الاضطراب والتشويش الفكرى تجاههما؛ ذلك أن هناك عناصر مشتركة بينهما هي التي قد تثير كل هذا الاضطراب نحو اختلافهما أو تشابههما، ويفضل لدراسة عوامل الاختلاف والتشابه أن نبدأ بتلك الأسس الدرامية المشتركة ما بين العلاج بالدراما والسيكودراما، في محاولة للتعرف إلى مصدر التشابه بينهما قبل أن نتعرض للاختلافات.

### أولاً: عوامل التشابه:

إن أكثر الجوانب تشابها ما بين العلاج بالدراما والسيكودراما، يتركز حول دور الدراما في أسلوب كل منهما. فلو نظرنا لتعريف العلاج بالدراما كما وضعتة الجمعية البريطانية للعلاج الدرامى والذي يقول: «إن العلاج بالدراما هو استخدام ذو هدف لكل من الدراما والمسرح وما يرتبط بهما من تقنيات من أجل تحقيق أهداف علاجية تؤدي إلى إزاحة الأعراض (النفسية والاجتماعية)، وخلق تكامل فى النمو الانفعالى، والفيزيقي، والشخصي» (Barohum 1992م)، أما بالنسبة للسيكودراما فنجد أن ج.ل. مورنيو (J.L. Moreno) مؤسس السيكودراما يصفها بأنها أسلوب علمي يكتشف الحقيقة بأساليب درامية، وأن هذا الأسلوب

يرتبط ويتعامل مع العلاقات الشخصية الداخلية؛ والعوامل الخاصة للمرض» (moreno ١٩٥٣ Quated in Halmen).  
من التعريفين السابقين، نلاحظ ارتباط كل من الأسلوبين بالدراما، فكل من يشارك في إجراءات العلاج بالدراما أو السيكودراما، لابد أن يتوقع وجود عناصر من الاستعارات الدرامية Dramatic Idiom أثناء الممارسة بجانب ما يمكن استخدامه من العناصر الدرامية الإبداعية التي تساعد على إكساب العملية العلاجية شكلها المميز ودوافعها، التي يستخدم فيها كل من المعالج والمريض Client تلك المنايع الداخلية الإبداعية في العملية العلاجية، التي تعتمد على الاندماج في أداء الفعل الدرامي، والواقع الدرامي الذي يعتبر جزءا من الفعل الذي يبده ويشارك في تجسيده المرضى، معنى ذلك أن كل من الأسلوبين يفيد مع تقنيات الأداء، والاندماج في الفعل الدرامي بخلاف ما يتم في العلاج النفسي الفرويدى والذي يعتمد على التواصل اللفظى دون أى فعل.  
ويمكن تلخيص ما تقوم به الدراما بالنسبة لكل من الأسلوبين في النقاط التالية:

الدراما والجسد: التعبير الدرامي من خلال الجسد.

الفراغ المسرحى:

الدراما والحلم:

الدراما والدور:

#### ١- الدراما والجسد

عندما يعبر الإنسان عن الفعل الدرامي بالحركة، فإنه وإن كان يعبر من خلال مستوى فيزيقى، إلا أن التعبير الفيزيقي من خلال حركة الجسد

ينشأ نتيجة لقوة كبيرة من العالم الداخلى للفرد، فهناك ارتباط وثيق بين الجسد والأحاسيس والانفعالات والحالة العقلية. والتعبير الفيزيقي هنا يكون مدخلا سهلا للتعرف إلى الانفعالات والعالم الداخلى للفرد.

والعلاقة بين الجسد والحالة النفسية تشكل ركنا مهما في تدريب وأداء الممثلين الذين يتعلمون كيفية تحقيق المرونة الفيزيكية والصوتية حتى يكون أدائهم الدرامي ذا تأثير كبير، وبدون هذه المهارة والتدريب عليها. تظل قدرات الممثل التعبيرية محدودة، وقد ينتهى به الأمر بأن يعبر فى كل دور عن شخصيته هو، وهذا بالضبط ما يتم مع المريض الذى لا بد له من المشاركة الجسدية فى الأداء من خلال التعبير الكامل فى المواقف التى اعتادها وتجاوزها دون أن يقوم بالتعبير فى أدوار جديدة وبديلة لأداء تعبيراته الذاتية.

هناك أيضا ارتباطا ما بين الجسد واللاشعور، وقد وضعه عالم النفس Joyce McDougel فى عنوانه الدال «مرح الجسد» ١٩٨٩م حيث قال: «إن الأعراض أو المظاهر الجسدية (الفيزيكية) تعكس نفسها باعتبارها تواصل مع الألم الداخلى، ونفس الشئ، فى السيكدوراما، فبعض الأعراض الفيزيكية التى تظهر فى ممارسة السيكدوراما من خلال الفعل، قد تكون المدخل لسلسلة من الدلالات المخزونة بالذاكرة والتى تشير إلى أسباب الاضطرابات التى يصادفها المريض، وهذا ما يتم فى كل من العلاج بالدراما والسيكدوراما حيث يعملان من خلال الخبرات والممارسات الفيزيكية على تصعيد الانفعالات وخبيايا اللاشعور إلى المسرح العلاجي.

## Therapeutic Space & Theatrical Stage

إن الفراغ (المساحة العلاجية) تقارن بشكل أو بآخر بالفراغ (خشبة المسرح) ويقصد به ذلك الفراغ أو المساحة التي يمكن خلالها تقبل الوهم Illusion التمثيل، حيث تجسد الخبرات المختلفة عن طريق الأداء في أبعاد ثلاثة، فعندما نذهب إلى المسرح ونتقبل راضيين الفعل الذي نشاهده على خشبة المسرح باعتباره واقع خاص مختلف عن واقع ذات الفعل في الحقيقة، وقد وصف الناقد الإنجليزي كولريدج هذه العملية بوصفها «إرجاء مؤقت للشك» فعندما تخفت الإضاءة عند بدء العرض فإن المشاهدين يتقبلون الدعوة لإرجاء الشك بنفس الطريقة التي يلجأ إليها الطفل عندما يسمع «كان يا ما كان في سالف العصر والأوان» أو «دعنا نتوهم». خاصة لو علمنا أن كلمة مسرحية (Play) تستخدم للإشارة لكل من الإنتاج المسرحي والأنشطة الإبداعية ذات الخصائص الدرامية أو الإيهامية التي يقوم بها الأطفال.

وفي سياق العلاج «بالدراما أو السيكدراما، فإن المرضى يدفعون لاستخدام عوالم، الذاكرة، والخيال، والأساطير في العلاج، ويحاولون تجسيد أشياء عديدة من خلال الطفل، كل هذا وتحت مظلة الأمان التي تحققها الأساليب العلاجية، وفي وجود الفراغ الدرامي، يسمح لهم سياق التوهم التمثيلي هنا بحرية أكثر للتعبير والتفسير.

ويمكن تفسير الكيفية الخاصة التي ينقل بها الواقع على خشبة المسرح، أو في السيكدراما، أو في العلاج بالدراما، بتفسير مشتق عن

الأنثروبولوجى وطقوس العبور، وهو تعبير الانتقال الموجود بين مرحلة وأخرى فى حياة الفرد. هناك أيضا مفهوم آخر يرتبط بهذه الظاهرة مشتق من كتابات «D.W. Winicott Transitional Space» وهو ما يعرف بالفراغ الانتقالي وهو الفراغ الذى يتم فيه الأداء التمثيلى، وهو فراغ يتوسط ما بين الواقع الداخلى والواقع الخارجى للطفل، وهو يلعب دورا كبيرا بالنسبة للطفل وموضوعاته الانتقالية: «Transitional objects» والتي تكون عادة «دميته اللعبة» والتي تسمح بوجودها على مستوى واقعى، إلى حد ما بين «أنا» و«لست أنا»، فتضع جسرا ما بين الذاتية والموضوعية، فالموضوع موجود فى العالم الخارجى بشكل عياني لكنه ينتقل ويتحول إلى موضوع داخلى له دلالاته ورموزه المرتبطة بالعالم الداخلى للطفل. وهذه الكيفية تمثل قوة تحول وانتقال تطورى Tremendously. نفس الشيء يوجد فى كل من العلاج بالدراما والسيكودراما، فهناك فراغ علاجي «انتقالي» يعمل كجسر بين العالمين الداخلى والخارجى، ويرتبط بقوة بما يعرف بالمجاز الدرامى (Idiom) وبخبرة التمثيل، والمواقفة على أن التمثيل يمكن أن يساعد على مزيد من الإيضاح ويغير من البالغ كما يغير اللعب من الطفل.

## ٢- الدراما والحلم..

من خلال خبرات الأحلام أصبحت دراما العالم الداخلى مأثوفة لنا، وقد أطلق فرويد على الأحلام «الطريق الملكى للاشعور»، ذلك أن الأحلام لا تخاطبنا عن طريق الكلمات فقط، بل تتواصل من خلال انطباع درامى أيضا، ففي الحلم نجد العديد من العناصر الدرامية كالقصة، والموقع،

والحبكة والمشاهد وتغير المشاهد، العلاقات الخاصة: والشخصيات، والحوار. وتشارك كل تلك العناصر في التعبير عن معاني الحلم، حتى في أحلام اليقظة والتي هي أكثر قربا (للعقل الواعي) فإن النفس تلجأ إلى الحوار الدرامي والخيال لتفسير ديناميات الصراع، هذه العملية تتم بشكل طبيعي ومألوف لنا جميعا، لنفس العناصر يلجأ المعالج بالسيكودراما أو العلاج بالدراما لتفسير الجوانب الشعورية واللاشعورية على السواء، فالقصص ذات الجذور الخيالية التي ترتبط بالذاكرة، يمكن استخدامها لتشارك في الدراما، وإن كان كل من الأسلوبين يعتمد على الدراما كوسيلة للتواصل واكتشاف الاهتمامات الداخلية للفرد، إلا أن الأسلوب في كل منهما مختلف.

#### ٤- الدراما والدور..

يأخذ مفهوم الدور مكانا مهما في العلاج بالدراما والسيكودراما، وقد عرف مورينو الدور بأنه «الشكل الفعلي والمللموس الذى تتخذه النفس» أو بأنه «الشكل الوظيفي الذى يتحكم فى سلوك الفرد فى لحظة معينة حين يتفاعل مع موقف معين يتضمن أشخاص وموضوعات أخرى» (مورينو ١٩٦١م).

ومفهوم الدور هو مفهوم درامى أصلا، وقد طبقه مورينو على أفعال الحياة منذ لحظة الميلاد، وقد صنف الأدوار إلى:  
الأدوار السيكوسوماتية: وهى التى ترتبط بالأسلوب الذى يؤدي به الفرد على مستوى فيزيقى.

الأدوار الاجتماعية: وهي التي تصف الفرد في علاقاته بالآخرين.  
الأدوار السيكودرامية: وهي التي توجد كصور خيالات داخلية في  
علاقتها بالآخرين، وهي التي تصبغ تفاعلاتنا الحقيقية أو تبعا لسياق  
أو لخصوصيات معينة أو تبعا لبعض عادات الفرد.

كما أن بعض الأدوار قد تميل إلى التطور على حساب أدوار أخرى أقل  
فى النمو، كما أن بعض الأدوار قد تصبح ثابتة، وقد تخوننا فى بعض  
المواقف، وفى مواقف أخرى قد تكون غير موظفة وتسبب المشاكل. كل هذا  
يمكن مصادفته خلال العلاج بالدراما أو السيكودراما، كما يمكن تشخيص  
العديد من الأدوار غير المألوفة خارج أو داخل الفراغ العلاجي. بتطور الأدوار  
وتكرارها يكون أمام الفرد الحرية فى الاختيار من بينها فى كل لحظة،  
وهنا يأتى دور التلقائية فى اختيار الدور والتي تشكل مفتاح أساسى فى  
العلاج بالسيكودراما، والتلقائية Spontaneity مشتقة من اللفظ اللاتينى  
(Sponte) وتعنى الحرية التامة (Free Will)، ولا يعنى الفعل التلقائى  
الفعل خارج الضبط (التحكم) أو الذى يفتقر إلى الحدود المناسبة، إنها  
القوة التى تدفع الفرد تجاه الاستجابة المناسبة لموقف جديد أو الاستجابة  
لموقف قديم (مورينو ١٩٥٣م). وتعرف السيكودراما نفسها، وتحديدًا بتطور  
التلقائية بهذا المفهوم، وهو المفهوم المحورى فى العلاج بالدراما أيضا.

هذه بعض أوجه التشابه الأساسية بين الأسلوبين وسوف نحاول  
النظر إلى الاختلاف بينهما.

## ثانياً: الاختلافات

هناك نقطتين أساسيتين لفهم الاختلاف بين العلاج بالدراما  
والسيكودراما الأول الذى يتخذ كل منهما كعلاج جماعى، وخصوصية

وبناء تقنيات العلاج، والثاني المحاولات العلاجية داخل السيكودراما ومقارنتها بالمدى الواسع الرحب للعلاج بالدراما.

## ١- العلاج بالدراما والسيكودراما كعلاج جماعى:

يعتبر البطل هو محور العلاج الجماعى داخل الجماعة فى السيكودراما، وبمجرد أن يتم تحديد هذا الشخص - الذى يعرف (Protagonist) يتم توزيع الأدوار الثانوية على المجموعة والتي تكون أدوارهم إلى حد كبير انعكاس لعالم البطل الداخلى. أما فى العلاج بالدراما وإن كان التركيز قد يكون على فرد واحد طوال الفترة المخصصة للعلاج. لكن يفضل فى أكثر الأحيان أن يوزع التركيز بحرية حول كل المجموعة.

هذا الاختلاف يمكن فهمه بشكل أكثر وضوحا لو حاولنا أن نفهم أولا المقصود بمفهوم السياق الجمعى (الجماعى) Group Matrix ويقصد به الحالة التي تكون عليها الجماعة، وهذا المفهوم الذى وضعه S.H Faulks فى سياق التحليل النفسى للجماعة قد يبسر من توضيح الاختلاف. يقول Faulks: نعنى بلفظة Matrix (السياق - الحالة) شبكة العلاقات النفسية والتي تشكل الخاصية العقلية المميزة للجماعة. وليس بين أفرادها فقط، ولكن عبر الأفراد. وكلما تطورت الحالة إلى شبكة من العلاقات الأكثر تداخلا تطور من جهة أخرى تحديد الأفراد لأنفسهم ودخولهم علاقات أكثر دينامية» (Faulk ١٩٩٠م).

فى التحليل النفسى الجماعى تتعمق الحالة النفسية داخل الجماعة من خلال المناقشات المتنوعة والحررة، وأيا كان شكل التواصل داخل الجماعة فإنه يشكل صدى ينعكس على كل أفراد الجماعة متضمنا

قائدها The Group Conducotor وتصيح الأفكار أكثر وضوحا وفاعلية من خلال التواصل اللفظي.

يوجد هذا السياق أو الحالة حيث يوجد الاهتمام العام للجماعة فى أى لحظة سواء أكانت جماعة تحليل نفسى أو جماعة العلاج بالدراما أو السيكودراما.

فأفراد الجماعة ترتبط وتبدع سياقها من خلال تواجدهم فى لحظة حاضرة آنية، اعتمادا على مفردات (مواقف) من الظروف الماضية أو الأدوار العادية. وفى سياق العلاج بالدراما يقترح المعالج هذه المواقف وترتيب الجماعة بها، ومن خلال ذلك تنفجر الحالة بواسطة تفاعل كل الأفراد. أما فى السيكودراما، فيجب أن يستثار اهتمام الجماعة عن طريق المواقف والموضوعات التى يختارها البطل أو الشخصية الرئيسية والتى تجذب إليها اهتمامات الجماعة ككل.

## ٢- تركيب وبناء التقنيات العلاجية:

إن الاختلاف الرئيسى فى التقنيات بين العلاج بالدراما والسيكودراما ينبع من الحقيقة التاريخية. أن السيكودراما صدرت عن رجل واحد هو مورينو Mereno، مع بعض التطورات التى قامت بها زوجته Zerka Mareno، لذلك فإن السيكودراما الكلاسيكية، مازالت مستمرة كما هى، وإن أصبحت مرجعا رئيسيا للعديد من التنوعات مثل السيكودراما الاستراتيجية، والسيكودراما التحليلية.. إلخ.

أما العلاج بالدراما، المقابل فقد يعود إلى تنوعات من الاستخدام والتوظيف لكثير من التقاليد الدرامية والمسرحية مثل: الطقوس ورواية

القصة، اللعب الدرامى، وأعمال عدة من تدريبات الممثل تبعاً لنفع المدارس والمناهج المتبعة. الأمر الذى يكسب العلاج بالدراما تنوعاً وثراء فى التطبيق وبالتالى فى تحقيق أهدافه. بمعنى أنه وإن كانت السيكودراما محدودة فى تقنياتها فالعلاج بالدراما أرحب وأكثر فى وسائله.

هذا هو العلاج بالدراما ومن يحتاج لمزيد من المعرفة فقائمة القراءات التالية والمراجع التى سوف نرصدها فى نهاية الدراسة قد تكون خير عون له.

